سنوات الجحيم

أوراق مراسل
صحفي بالعراق

الفصل التاسع

من يدير المذبحة

obeikan.com

obeikan.com

• عرضنا فى الفصل السابق نماذج للواقفين على حافة المذبحة موقف المتابع دون تأثير بينما حاول بعضهم التعامل فى حدود المتاح رغم الخطر المحدق وإستراتيجية الاستهداف المتعمد التى ينفذها من يدير المذبحة بعد أن أسس لها عبر سلسلة من الأحداث المروعة التى تم تخطيطها وتنفيذها بعناية لفرض أمر واقع جديد فى عهد ما بعد صدام حسين كان الحصول على مساحة من النفوذ فيه يتطلب الانتصار فى « حرب تكسير العظم» التى فُرضت على الجميع بما يتيح امتلاك أكبر عدد ممكن من أوراق اللعب التى تترجم إلى نفوذ سياسى واقتصادى على أساس النفوذ الأمنى .. وإذا كان الجميع يتهم الجميع بتأسيس المذبحة وإدارتها إلا أن الوقائع على الأرض التى لمستها من خلال معايشة يومية للأحداث عن قرب على مدى أربعة أعوام سبقتها سنوات من المتابعة الدقيقة للشأن العراقى عبر قراءة عشرات الكتب وآلاف التقارير الصحفية المكتوبة والمسموعة والمرئية أستطيع أن أحصر إدارة المذبحة فى طرفين بارزين لا ينحصر نفوذهما فى اتهامات وإنما يتجاوزه إلى أحداث يمكن قراءتها بوضوح من خلال نتائجها المؤثرة فى الواقع العراقى بكل تفاصيله المعلن منها وغير المعلن .. يدير هذان الطرفان المذبحة بكل تفاصيلها بين شد وجذب وفقا لما تمليه آليات الصراع بينهما فى قضايا قد لا تكون ذات صلة مباشرة بالواقع العراقى وإنما تتجاوزه إلى أمور تخص مصالح البلدين اللتين تمثلان قوتين عظميين أحداهما القوى العظمى الأولى فى العالم والثانية القوة العظمى الإقليمية التى تسعى لتجاوز حدودها كقوة إقليمية عظمى تم الاعتراف بها فعليا من خلال إشراكها فى إدارة بعض الملفات الحساسة ضمن مناطق نفوذها وتريد أن يعترف بها كقوة عظمى دولية استنادا إلى أطماع فى استعادة الإمبراطورية الفارسية .

فى ١١ مايو ٢٠١٠ عشية موجة التفجيرات الدموية التى ضربت العراق من البصرة جنوبا إلى نينوى شمالا مرورا بمحافظات بابل وواسط وبغداد وسط العراق والأنبار غربا وديالى شرقا نشرت وكالة مهر الإيرانية هذا التصريح

« نبه الرئيس الإيراني محمود احمدي نجاد الولايات المتحدة الأمريكية بأن بلاده تمثل «مفتاح الحل» في قضايا العراق وأفغانستان وفلسطين.

ونسبت وكالة «مهر» الإيرانية شبه الرسمية للأنباء إلى نجاد إشارته، يوم الاثنين خلال تكريم الأساتذة والطلاب الجامعيين النموذجيين، إلى إنه قال في مقابلة مع إحدى الشبكات التلفزيونية الأمريكية، أن «البعض يريدون دفع (الرئيس الأمريكي باراك أوباما)، فيما يتعلق بإيران، إلى اتخاذ موقف لا رجعة فيه أو إصدار قرار

عقوبات».

وحذر نجاد أن «هذا يعني نهاية أميركا».

وأضاف لقد قلت لمراسل تلك الشبكة التلفزيونية أن «إيران تمثل أكبر وأسهل فرصة أمام أوباما كما أن إيران تمثل مفتاح الحل في قضايا العراق وأفغانستان وفلسطين».

وقال «عندما يقوم أوباما باتخاذ قرار عقوبات ضد إيران سوف لن يكون بمقدوره إصلاح علاقاته مع إيران وهذا معناه أن الرئيس الأمريكي لن يكون قادرا على تنفيذ وعوده التي أطلقها خلال حملته الانتخابية أو أنه يريد العودة إلى نهج سلفه جورج بوش وهو نهج فاشل لا يمكن مواصلته».

واعتبر «أن كل من يتصور أن بإمكانه إصدار قرار عقوبات وإرغام الشعب الإيراني على التراجع ولو مليمترا واحدا فهو واهم مائة في المائة لأن إيران ليست ذلك البلد الذي بإمكانهم أن يقتلوا سكانه الأصليين واحتلاله فالشعب الإيراني شعب أبي».

وتؤشر تلك التصريحات مدى قوة وتواجد النفوذ الإيرانى بالعراق وهو أعلن عنه القادة الإيرانيون مرارا من خلال التأكيد على قدرتهم ملىء الفراغ الذى سوف يتركه الانسحاب الأمريكى من العراق وفق الاتفاقية الأمنية والذى يصر رئيس أمريكا الجديد على الالتزام بها .. فما هو سر القوة وكيف تمكن الإيرانيون من دعم وجودهم بهذا الأسلوب الذى دعا أكثر من مسؤول أمريكى إلى التصريح عنه .. ناهيك عن المحاولات الأمريكية وهى القوة العظمى للتقرب من إيران وطلب مساعدتها فى أمور تخص الشأن العراقى .

١ - إيران

لا أدرى لماذا أتذكر دائما فيلم الريس عمر حرب الذى أبدع فيه الفنان خالد صالح والشاب الرائع هانى سلامة خاصة عندما قال صالح فى حوار رائع : « أن المفتاح الحقيقى للإنسان هو الخوف ولابد أن يستمر هذا الخوف حتى يبحث دائما عن الأمان » وهو ما نجحت فيه إيران بشكل كبير بعد أن نشرت الخوف سواء بمفردها أو مع شريكتها الرئيسية فى إدارة المذبحة أمريكا عندما التقت الأهداف بجعل العراق ساحة لتصفية الحسابات بين الطرفين أو بين كل طرف وأطراف أخرى .. راهنت طهران على كل أرقام الروليت وأجادت اللعب .. كما أجادت توظيف من يدير الروليت داخل اللعبة .. واستخدمت كل المهارات والإمكانيات والوسائل المشروعة وغير المشروعة حتى تصير الساحة العراقية ملعبها الذى تربح

فيه دائما .. فالتغلغل الإيراني المحكم فى كل مناحى الحياة العراقية ليس هدفه فقط الهيمنة على الشيعة باستخدام مفتاح الخوف من تكرار وقائع تاريخ مشكوك فى معظم رواياته حول استهدافهم وإقصائهم وتهميشهم وهى نبرة عالية الصوت وتجد إذانا صاغية دائما وإنما يتجاوز الهدف ذلك إلى إغراء الأكراد الحالمين بالاستقلال الكامل والحصول على نصيب الأسد من بحور النفط فى كركوك والمناطق المتنازع عليها أو كما يسمونها المستقطعة باعتبارها جزءا أساسيا من أراضي كردستان التاريخية بالإضافة إلى توريط السنة بالمصالح الخاصة وإذكاء نيران الخوف أيضا من الإقصاء والتهميش فى عصر باتت فيه السيادة الشيعية على مقدرات الأمور غير قابلة للتجاوز باعتبارهم أغلبية سكانية حقيقية وتعرضوا لمظالم على مدى تاريخهم .. وما بين المكونات الثلاثة الرئيسية كان يهدف التغلغل الإيرانى إلى وضع باقى مكونات الطيف العراقى تحت السيطرة سواء بالبقاء على الهامش أو الهجرة القسرية أو الانضواء تحت لواء المكون الشيعى بمسميات جديدة وذلك باستخدام مفتاح الخوف أيضا وهو مفتاح أثبت جدارته على مدى سنوات المذبحة سواء اتسعت وقائعها أو ضاقت فى فترات هدوء نعم فيها العراقيون بأمن نسبى واستقرار هش .

لعل المثير الذى يدركه العراقيون جيدا وربما يدركه غيرهم دون أن يعلنوا ذلك هو أن : «آيات الله» الإيرانيون «هزموا» أمريكا في العراق وقد أكد لى أحد قادة الجماعات المسلحة الذى تحول إلى حليف لأمريكا ضمن ما عرف بقوات الصحوة التى قاتلت القاعدة بشراسة وهو « أبو عزام التميمى » أن القادة الأمريكيين اعترفوا فى أكثر من حوار معه أنهم لم يقدروا قوة إيران بالشكل الصحيح بل واعترف اخرون بأن إيران خدعتهم وكانت أكثر استفادة منهم وأنهم قدموا مكاسب مجانية لطهران على أطباق من الذهب فى إطار ما يمكن قراءته على أنه تحالف غير معلن بين طهران وتل أبيب وواشنطن ضمن مشروع التغيير فى المنطقة بكاملها بدءا من بغداد .

ويقول الكاتب والمحلل السياسى الأمريكى روبرت داريفوس وهو مؤلف كتاب / لعبة الشيطان/ أن الاعتراف الأمريكي بتنامي النفوذ الإيراني في العراق وتحوله من مساعد إلى شريك حقيقي، يعني انه لابد من البحث عن صيغ توافقية بين القوتين لضمان عدم تضارب المصالح بينهما وهو ما يفسر سكوت الأمريكيين عن سرقات النفط العراقي في حقول مجنون وانتشار المخدرات في العراق وتنامي قوتي /بدر / وهى الجناح العسكرى للمجلس الأعلى الإسلامى الحليف الاستراتيجى لإيران وجيش القدس الإيرانى وفسح المجال لهما في جنوب ووسط العراق على

حساب التيار الصدري الذي تم استهدافه من قبل الجميع وهو ما أدى إلى تجميد نشاطات جناحه العسكرى /جيش المهدي / واستكانة قائد التيار الذى كان له توجهات قومية عربية منذ نشأته إلى الدروس الحوزوية فى قم حتى يحمل لقب أية الله وربما يصير مرجعية بديلة للمرجع الأعلى الشيعى بالعراق أية الله على السيستانى الذى يرفض رغم جنسيته الإيرانية الخضوع لمبدأ ولاية الفقيه.

ويقول داريفوس أن الولايات المتحدة التى حققت – بغزوها العراق- الحلم الإيراني الإمبراطورى الموروث بالتغلغل السري والعلني في بلد تعاني أكثريته العربية الشيعية من ضغط نفسى تمت ترجمته عمليا خاصة ابان حكم صدام حسين بتهمة «التبعية الطائفية» لإيران، ومن ضغط آخر بـ«تواطؤ» بعض القيادات الشيعية التى احتضنتها طهران خاصة مع بدء حرب الثمان سنوات العبثية والتى عادت طبقة حاكمة للعراق بعد انهيار نظام صدام حسين وهو الأمر الذى جعل بسط الهيمنة الإيرانية على الشيعة بشكل خاص والعراق بشكل عام أمرا سهلا

كما أدى بنتيجة طبيعية موازية إلى إطلاق العنان للإسلام الأصولي ممثلا فى تيارات الإسلام السياسى التى حكمت العراق منذ سقوط صدام حسين عام ٢٠٠٣ باستثناء مرحلة رئاسة الدكتور إياد علاوى للحكومة المؤقتة التى لم تستمر طويلا ليأتى الرجل الذى يتهمه العراقيون برعاية بذور الطائفية السياسية حتى باتت أشجارا تختفى تحت ظلالها أى ملامح أخرى لصورة المشهد العراقى .

ولعل هذه الإشكالية التى يبدو أن أمريكا لم تدرس نتائجها بعناية جعلت واشنطن تعاني على أرض العراق من «عقدة مزدوجة» في التحالف مع إيران، وفي الحرب معها بالنيابة وأظهرت الوقائع على الأرض أن الغلبة كانت دائما لإيران التى أجادت استخدام كافة أوراق اللعب مع أمريكا . وبالرغم من الطعن العلني النشط الذى تمارسه أركان الإدارة الأمريكية وقادتها العسكريون بالعراق ضد إيران، فقد وقفت الولايات المتحدة في حالة يمكن أن يقال عنها «تحالف أمر واقع» مع إيران في دعم النظام الشيعي الذي نصبته في بغداد.

ويؤكد درايفوس أن العنصر الأكثر قوة في النظام ، المجلس الإسلامي العراقي الأعلى وميليشياته التى شكلت النسبة الغالبة من القوات الأمنية العراقية /قوات بدر/، هي ايضا الجهة العراقية الحليفة الوثيقة لإيران .

وبالاستفادة من المزايا التي خلقها الفراغ السياسي الذي خلفته الولايات المتحدة بتدمير حكومة صدام حسين ، فقد أقامت إيران وجودا واسعا سواء بشكل

علني أو سري ، في العراق ، وبنفوذ متعاظم تقريبا بين كل حلفائها من الأحزاب الشيعية والكردية .

ويقول شاس فريمان السفير الأمريكي السابق في السعودية أن « الاحتلال العسكري الأمريكي للعراق سهّل الاحتلال السياسي الإيراني للعراق ».

وبالنتيجة فان الواقع العراقى بعد ٩ أبريل ٢٠٠٣ / تاريخ دخول القوات الأمريكية إلى قلب بغداد / بات مثيرا للدهشة والقلق ويؤشر لنتائج أكدتها الأحداث على الأرض وذلك لأن قرار واشنطن لإسقاط صدام حسين وما تلا ذلك من قرارات أمريكية خلال تولي الحاكم المدنى للعراق / بول بريمر/ أدى إلى وصول نخبة حاكمة وثيقة الصلة مع إيران وتأتمر بأمرها بدلا من الولايات المتحدة وهو ما يؤكد أن آيات الله في طهران نجحوا فى إفشال الجهود الأمريكية لإقامة نظام مذعن مرتبط بالولايات المتحدة في بغداد وتحويل النتيجة إلى صالح النظام الإيرانى ليحقق ما لم يخطر ببال قادة طهران فى أجمل أحلامهم وهو ما ترتب عليه بالنتيجة مشهدا مغايرا لعبت فيه الحروب بالنيابة دور البطولة ضمن واقع معقد كما يقول شاعرنا العظيم أمل دنقل :

« ميزانه البندقية،
أبناؤه صلبوا في الميادين
أو شنقوا في زوايا المدن »

وتقول تريتا فارسي مؤلفة كتاب « تحالف الغدر – التعامل السري بين إسرائيل وإيران والولايات المتحدة : « إن الإيرانيين يستثمرون فعليا كل المكونات هناك ، فقط ليتأكدوا انه حينما ينجلي الغبار كائنا من يكون مسيطرا في العراق سيكون مدينا لإيران إلى درجة معينة ، وإيران تضع الأموال على كل أرقام لوحة الروليت .

• نكتة نجاد

ضمن إجادتها للعبة واستخدام كل الأرقام والأوراق بشكل قد تصل المبالغة فيه إلى حد اعتباره نكته تصيب من يقرأ تفاصيلها بموجة من الضحك الهيستيرى هو ما ورد فى خبر تناقلته وسائل الإعلام بعد أن بثته وكالة الأنباء الإيرانية / إرنا/ يقول «كشف الرئيس الإيراني محمود احمدي نجاد، الخميس، انه كان يمتلك معلومات موثقة، بشأن محاولة من سماهم «الاعداء» لاختطافه واغتياله أثناء الزيارة التي أجراها للعراق مطلع شهر آذار /مارس الماضي، مبينا انه كان أول

رئيس يزور العراق وفق «إعلان مسبق».

ونقلت وكالة الأنباء الإيرانية (إرنا)، عن نجاد قوله إنه «رفض خلال زيارته للعراق أن يقيم في المنطقه الخضراء الخاضعة لسيطرة الأمريكيين.» كاشفا عن انه بناء على «معلومات موثقة، فان الأعداء كانوا قد خططوا لاختطافي واغتيالي « .....إلى آخر الخبر الطريف .. فالجميع يعلم أن زيارة أحمدي نجاد لبغداد تعد علامة فارقة في تاريخ الصراع الأمريكي الإيراني في العراق لأنها اعتراف تام بدور إيران في العراق ومدي التنسيق بين الجانبين في الشأن العراقي، ومن المثير للدهشة أن يصطحب نجاد معظم قادة الحرس الثوري الإيراني في اشارة إلي أهمية ودور ذلك الجناح العسكري في الصراع بما يشمل من استفزاز للعراقيين الذين حاربوه على مدى ٨ سنوات إبان حكم صدام حسين فالبعض يفسر الزيارة علي أنها تحقيق التوازن بين قوي الاحتلالين الأمريكي والإيراني للعراق وآخرون يرون أنها إشارة إلي ما سوف يتم تنفيذه من ملء إيران للفراغ في العراق في مقابل انسحاب القوات الأمريكية بعد استمرار نزيف الخسائر في قواتها وإحراج الإدارة الأمريكية.

فالكل يعلم أن الولايات المتحدة هي الحاكم الفعلي للعراق ولا يمكن أن تتحقق مثل هذه الزيارة بدون الحصول علي الضوء الأخضر الأمريكي، وهذا يؤكد وجود تنسيق بين الطرفين المؤثرين على الساحة العراقية بشأن الزيارة وكان الدليل الأوضح هو عقد المؤتمرات الصحفية في المنطقة الخضراء وكانت حماية الرئيس الإيراني من قبل القوات الأمريكية بالإضافة إلي / قوات حرس إقليم كردستان/ المعروفة باسم البشمركة والقوات الإيرانية مجتمعة .

ولاشك أن وصول الأدميرال مايك مولن رئيس هيئة الأركان المشتركة إلي العراق تزامنا مع وجود أحمدى نجاد يميط اللثام عن وجود اجتماعات سرية مشتركة لم يحضرها أي مسئول عراقي، أما الاتهامات التي تبادلها الطرفان فهي للاستهلاك المحلي ففي الوقت الذي صرح فيه نجاد خلال لقائه بالحكيم بأن «منطقة الشرق الأوسط لم تعرف فيما سبق مثل هذا الوجود الإرهابي قبل قدوم الأمريكان لها»، وتحذير الرئيس بوش لنجاد من تصدير إرهابيين والعنف إلي العراق، كما أن رد اللفتانت جنرال ريموند اوديرنو قائد القوات الأمريكية بالعراق بأن إيران تشكل أكبر تهديد في الأجل الطويل لاستقرار العراق في اليوم التالي لزيارة نجاد تأتي جميعاً وفق هذا المنظور.

والغريب فى الأمر هو تصريحات أوديرنو بأن الوضع الأمني مشكلة العراق

الرئيسية وأن لإيران الدور المهم في نشر الفوضي وأن الولايات المتحدة لديها أدلة واضحة عن استمرار إيران بتدريب مجموعات خاصة شيعية، ومازلنا نعثر علي كثير من الأسلحة والذخيرة القادمة من إيران، وهو نفس ما ردده الجنرال فالون أمام لجنة القوات المسلحة في مجلس الشيوخ الأمريكي بقوله نعمل جادين لوقف النفوذ الإيراني في العراق، كما أن دور الميليشيات التابعة لإيران لا يحتاج إلي مجهر لمعرفة خواصه ونشاطاته وتحركاته، وهو ما يضع المراقب فى حيرة مؤقتة إلا أنها سرعان ما تزول إذا وضع القضية فى سياقاتها وهى التّعاون التام بين الحليفين اللدودين وهو ما يجعل من اتهامات نجاد لواشنطن بمحاولة اختطافه وقتله مجرد نكته تثير الضحك لكنه كما يقول المتنبى / ضحك كالبكاء/

ومن الأمور التى تداهمك غرابتها أيضا «الى حين» أن تتوقف جميع الأعمال الإرهابية وقت زيارة نجاد للعراق ويستتب الأمن فجأة رغم انشغال القوات العراقية بمراسيم عاشوراء وإرهاقهم بالواجبات ويبدو أن القيادة الأمريكية حلت اللغز بسهولة عندما ذكر أوديرنو أن الرئيس نجاد تحرك بسهولة دون مشكلات أمنية خلال الزيارة لأن المجموعات التي تستهدف الزوار مدعومة من إيران، ويعلل الأمر بأنه عند قدوم أي زائر أمريكي للعراق علي مدي الاثني عشر شهراً التي سبقت زيارة نجاد نقوم بإحباط هجوم صاروخي أو يقع الهجوم لأنه ينفذ بمعرفة وكلاء إيران في العراق وهذا ما لم يحدث في زيارة نجاد؟ فكيف نفسر هذه المسألة؟!!!! [1] .

• الحرس الثورى

كان الوفد المرافق لنجاد معظمه من قادة الحرس الثوري الإيراني خلال الحرب العراقية الإيرانية ومنهم علي سبيل الذكر وليس الحصر العميد مهدي اختياري والعميد علي رضا عظيمي والسادة مجتبي ثمرة هاشمي وحسين مهدي موسوي ومحمد جعفر بهداد، مما يعطي الانطباع بان الزيارة كان فيها طابع استفزازي للعراقيين، مما أثار حفيظة الكثير منهم وأعلنوا رفضهم للزيارة.

وفى تقرير نشرته شبكة مكلاتشي الصحفية على موقعها الالكتروني قالت: إن أحد أقوى الرجال في العراق ليس مسؤولًا حكوميًا أو قائد ميليشيا أو مرجعا دينيا أو قائداً عسكريًا أمريكيًا أو دبلوماسيًا، بل هو جنرال إيراني يُدعى اللواء قاسم

(١) كشفت الوثائق التي نشرها موقع ويكيليكس عن أن إيران والميليشيات المدعومة منها خططت لضرب المنطقة الخضراء بأسلحة كيماوية .

سليماني، قائد قوات القدس التابعة للحرس الثوري الإيراني.

وتشير الشبكة الأمريكية إلى أن هذه المنظمة هي شبه عسكرية، ذات طابع استخباراتي تضطلع بمهمة توسيع النفوذ الإيراني في منطقة الشرق الأوسط.

وأشار التقرير إلى أن مهمة اللواء سليماني تتلخص فى توفير الدعم العسكري والمالي للجماعات العراقية المختلفة بهدف إفشال التجربة الأمريكية لبناء نظام حكم على النمط الغربي.

وقال مسؤول عراقي طلب عدم الكشف عن إسمه، أن سليماني هو نقطة ارتكاز السياسة الإيرانية في العراق، مضيفا أن قوات القدس تُعنى بجميع الملفات السياسية والامنية والمخابراتية والاقتصادية.

وأكد التقرير أن اللواء سليماني تدخل شخصيا لإنهاء القتال الذى دار فى البصرة ربيع ٢٠٠٨ بين القوات الحكومية العراقية وميليشيا جيش المهدي، ونقلت عن مسؤولين عراقيين تأكيدهم أن الرئيس جلال طالباني التقى شخصيا باللواء سليماني في إحدى النقاط الحدودية مع إيران لطلب مساعدته في إيجاد حل للأزمة.

ونقلت شبكة ماكلاتشي عن مسؤولين عراقيين و أمريكيين، لم تكشف عن هوياتهم، أن سليماني تمكن من الدخول إلى المنطقة الخضراء في شهر نيسان/أبريل من عام ٢٠٠٦ بغرض عملية اختيار رئيس الوزراء في حينها، فيما يؤكد مسؤولون أمريكيون أن هذه لم تكن المرة الوحيدة التي استطاع فيها اللواء سليماني النفاذ إلى المنطقة الخضراء.

وتضم الشبكة التي أنشأها سليماني لجمع معلومات استخبارية عن العمليات العسكرية العراقية والأمريكية، جميع الموظفين السامين في السفارة الإيرانية بمن فيهم السفير حسن كاظمى قمى ، حسب قول بعض المسؤولين العراقيين والأمريكيين.

ويقول رسول نفيسي المحلل في معهد واشنطن لدراسات الشرق الأوسط، أن النظر إلى قوات فيلق القدس كمنظمة إرهابية كما تفعل الولايات المتحدة ليس مجديا، فهي تأتي كأداة في المرتبة الثانية في الدبلوماسية الدولية الإيرانية.

ويشير مسؤولون من الاستخبارات الأمريكية لم تكشف الصحيفة عن أسمائهم، إلى أن فيلق القدس يدعم مقاتلي طالبان وحزب الله بالإضافة إلى حماس والجهاد الإسلامي في غزة.

ويتهم المسؤولون الأمريكيون سليماني بأنه المزود الرئيس للمسلحين بالعبوات الناسفة المتطورة التي تستخدمها المجموعات الخاصة وباقي الميليشيات الشيعية

وهى العبوات الخارقة للدروع التى كبدت القوات الأمريكية خسائر فادحة.

وقد رفضت السفارة الإيرانية في بغداد وممثليها لدى الأمم المتحدة في نيويورك، الرد على دعوة الشبكة الصحفية الأمريكية للرد على ما جاء في تقريرها.

وتؤكد الصحيفة أن واحدة من أولى الانتصارات التي سجلها سليماني ضد واشنطن في العراق لم تكن عن طريق استخدام السلاح بل الطرق السياسية، وذلك عندما نجح في تنظيم أول انتخابات عراقية عامة عام ٢٠٠٥.

وبذلت إدارة بوش كل في ما في وسعها لإبقاء إياد علاوي رئيسا للوزراء، ولكن سليماني استخدم آلته الدعائية الهائلة لإفشال مهمتها، وبعد عام واحد فقط وفي نيسان/أبريل ٢٠٠٦ أظهرت إيران قلقها من المفاوضات التي كادت تصل إلى أفق مسدود لاختيار رئيس وزراء جديد.

وعندها كما يؤكد مسؤول عراقي لم تكشف الصحيفة عن اسمه، تسلل سليماني إلى المنطقة الخضراء لضمان أن يكون رئيس الوزراء الجديد مقبولا من طهران، ووصلت التفاهمات إلى اختيار نوري المالكي.

وطلب الأميركيون من المسؤولين العراقيين تفسيرا لنتائج الإنتخابات، ويقول نائب رئيس الجمهورية القيادى فى المجلس الأعلى الإسلامى المقرب من ايران وأحد المرشحين الأقوياء لمنصب رئيس الوزراء عام ٢٠٠٦ عادل عبد المهدي في لقاء مع ماكلاتشي «إن الأميركيين شعروا بخيبة أمل ولكن ما حدث كان حلا للمشكلة في وقتها».

ويضيف عبد المهدي «أعتقد أن الأمريكيين كانوا يشعرون بالرضا لأن تدخل اللواء سليماني أنهى الأزمة من جهة، إلا أنهم كانون يشعرون بعدم الرضا بالطبع لأن سليماني كان داخل المنطقة الخضراء، على ما أظن».

من جهته، قال السفير زلماي خليل زاد السفير الأمريكي آنذاك في بغداد للصحيفة ذاتها، إنه كانت هناك بالطبع مزاعم حول دخول سليماني إلى المنطقة الخضراء في أبريل /نيسان ٢٠٠٦ ولكنه لا يستطيع أن يتذكر الآن فيما إذا قامت السفارة الأمريكية بالتثبت من هذه المعلومة.

ويؤكد مسؤول مخابراتي أمريكي أن هذه لم تكن المرة الأخيرة التي دخل بها سليماني إلى العراق بل كرر هذه الزيارات لعدة مرات.

وتختم الصحيفة تقريرها بالقول: أن سليماني أثبت براعته في استخدام الوسائل السياسية لتحقيق أهدافه في العراق، مشيرة إلى دوره المحورى محوريا لإنهاء القتال بين

القوات الحكومية وجيش المهدي في البصرة والذي كان يهدد بشل الصادرات النفطية.

وذهب وفد مؤلف من حزب الدعوة والمجلس الأعلى إلى إيران للتحادث مع كبار المسؤولين والتقوا بسليماني في طهران ثم مع مقتدى الصدر في قم.

ويقول عمار الحكيم : «إن الوفد ذهب للتحدث باسم كتلة الائتلاف والطلب من المسؤولين الإيرانيين حث هذه الجماعات للالتزام بحدود القانون، ومن ضمن المسؤولين الذين التقوهم كان السيد سليماني».

أما علي الأديب القيادي البارز في حزب الدعوة والذي كان ضمن الوفد الذي التقى بسليماني، فيقول أن المسؤولين الإيرانيين أقسموا أنهم لا يزودون جيش المهدي بالأسلحة.

ويضيف الأديب المقرب جدا من إيران «لقد ذكرناهم بأن الأمن في العراق يؤثر على الأمن في إيران، وأي دعم يقدمونه للتيار الصدري معناه إرسال رسالة إلى الأمريكيين للبقاء في العراق».

وترجع الصحيفة لتؤكد أنه في الفترة ذاتها أي ما بين ٢٨ و٢٩ آذار/مارس عام ٢٠٠٨ فإن اجتماعا آخر على مستوى عال أخذ مكانه على الحدود العراقية الإيرانية وبالضبط في نقطة مريوان حيث ناشد الرئيس العراقي جلال طالباني الجنرال الإيراني بالضغط على مقتدى الصدر للإعلان عن وقف إطلاق النار.

ويقول مسؤول عراقي أن سليماني أرسل رسالة فورية بهذا الخصوص، وبالفعل توقف القتال في اليوم التالي مباشرة.

وأكد مسؤولان عراقيان عقد مثل هذا الاجتماع فيما لم تتمكن الصحيفة من الحصول على تعليق من الرئيس طالباني.

وبالرغم من نجاح سليماني في وقف الإشتباكات المسلحة، إلا أن عشرات القادة العراقيين الذين استطلعت الصحيفة آراءهم في بغداد حذروا من خطورة التصارع بين الأجندتين الأمريكية والإيرانية والتي ستؤدي إلى تمزيق العراق.

وفي لقاءات متفرقة مع الحكيم وعبد المهدي قال الرجلان أن العراق يبدو وكأنه «واقع بين فكي الشيطان الأكبر ومحور الشر.»

ويصف الحكيم المحسوب على إيران التى احتضنت المجلس الأعلى للثورة الإسلامية طوال سنوات معارضته للنظام السابق سليماني بالقول إنه «رجل مثل باقي الرجال وقد يتوفر على قدرات مخابراتية مهمة ولديه جوانب جيدة وأخرى سيئة ولكن لا أرى من المنطق أن نبالغ في تصوير هذه الجوانب إلى حد وضع صورة

سريالية عنه، وطالما تمتعنا بالتفرج على الأفلام الأمريكية التي تصور البطل الخارق، حيث يموت جميع أبطال الفيلم ما عداه، ولكن فور انتهاء الفيلم سرعان ما نعود إلى أرض الواقع حيث لا أحد معصوم غير الله».

الواضح أن الكثير من أعضاء النخبة الإيرانية الحاكمة يجابهون صعوبة في الاعتراف بذلك، فبالنسبة لهم، لا تحمل مفاهيم مثل السيادة الوطنية أهمية كبيرة. الملاحظ أن ملالي رسميين، أمثال أحمد خاتمي، إمام صلاة الجمعة في جامعة طهران، يتظاهرون بأنهم لم يسمعوا بكلمة «عراق» من قبل قط، حيث يشيرون إلى الدولة المجاورة باعتبارها «بين النهرين» أو «العتبة العلية». وعلى ما يبدو، فإن الحرب التي استمرت ثمانية أعوام وخلفت مليون قتيل فشلت في إقناعهم بأن العراق دولة ذات سيادة.

• مخططات الهيمنة

شكلت الهيمنة على العراق أحد أطماع النخب الإيرانية منذ طرد العثمانيين لفارس من العراق عام ١٧٩٧، في أعقاب وفاة كريم خان زاند.

بعد الحرب العالمية الأولى، وتفكك الإمبراطورية العثمانية، حاول رجال الدين الشيعة إقناع قاجار شاه في طهران لضم المدن «المقدسة» في العراق[1]. لكن القاجاريين، الذين كانوا في طريقهم إلى مقبرة التاريخ، لم يكونوا في موقف يمكنهم من الحلم بغزو جديد.

بمجرد أن بدا واضحا أن العراق سيصبح دولة مستقلة بدعم بريطاني، قرر رجال الدين مقاطعة العملية برمتها وأبقوا الشيعة العراقيين على الهامش. بحلول أربعينات القرن الماضي، وجدت النخبة الإيرانية نفسها مضطرة لتقبل حقيقة استقلال العراق. في الخمسينات، فشلت محاولة للربط بين الدولتين عبر زواج ملكي، عندما أخفقت الأميرة شاهيناز، ابنة الشاه، والملك العراقي فيصل، في تنمية ود كاف بينهما للمضي قدما في تنفيذ الخطة.

في الستينات ومنتصف السبعينات، حاولت الأنظمة العراقية اجتثاث جذور النفوذ الإيراني عبر التأكيد على عروبة العراق. بين عامي ١٩٦٨ و١٩٧٥، تعرض ما يقرب من مليون عراقي للطرد من بلادهم بسبب روابطهم الإيرانية خاصة ما

(١) النجف التي تضم مرقد الإمام علي بن أبي طالب وكربلاء التي تضم مرقد الإمام الحسين وأخيه غير الشقيق العباس بن علي بن أبي طالب.

يعرف بالكرد الفيليين / الأكراد الشيعة .

في أعقاب إبرام اتفاقيات عام ١٩٧٥ التي أدت إلى استعادة العلاقات بين الجانبين بعد سنوات من العداء، حاول الشاه إحياء الوجود الإيراني في العراق عبر التجارة والحج والتواصل الثقافي.

تمثلت الفكرة التي حاول الشاه تحقيقها إغراق المدن العراقية بالحجاج والسائحين الإيرانيين مع ضمان اضطلاع إيران بدور كبير في الاقتصاد العراقي. وانتهى هذا المخطط عام ١٩٧٩ بسيطرة الملالي على السلطة في إيران. من جهته، لم يرغب حاكم إيران الجديد، آية الله الخميني، في التمتع بنفوذ داخل العراق فحسب، وإنما رغب في السيطرة عليه.

كانت أطماع الخميني الشرارة التي أشعلت حرب عام ١٩٨٠، والتي رغم أن الذي بدأها فعليا كان صدام حسين، فإن آية الله هو الذي عمد إلى إطالة أمدها حتى عام ١٩٨٨. كان من شأن سقوط صدام حسين إمداد الجمهورية الإسلامية بمصدر تهديد وفرصة في ذات الوقت. تمثل التهديد في أن العراق، الدولة الوحيدة بخلاف إيران التي ينتمي غالبية سكانها إلى الشيعة، ربما يتحول إلى دولة ديمقراطية حديثة ومنافس للنموذج الخميني. أما الفرصة فتمثلت في أن تتمكن إيران من سد الفراغ الناجم عن انهيار الدولة العراقية، وبالتالي تحقيق حلم الهيمنة على العراق.

يتمثل التحليل السائد في إيران حاليا في أن الشطر الخاص بالتهديد اختفى.. لقد كان بإمكان العراق بناء نظام ديمقراطي وتهديد النموذج الخميني فقط حال تمتعه بدعم طويل الأمد من قبل الولايات المتحدة وقوى غربية أخرى. عام ٢٠٠٨، بدا الوضع في العراق شبيها بما كان عليه الحال في ألمانيا الغربية عام ١٩٤٨.

حال سحب الولايات المتحدة والقوى الغربية الأخرى دعمها لدولة ألمانيا الغربية الناشئة في ذلك الوقت، كان الاتحاد السوفييتي سيسارع إلى ملء الفراغ. ويسود اعتقاد في طهران بأن إدارة أوباما ليست ملتزمة تجاه العراق اليوم بقدر التزام إدارة ترومان تجاه ألمانيا الغربية عام ١٩٤٨. وعليه، تتهيأ إيران بقوة للتحرك وسد الفراغ.

الملاحظ أن إيران تتقدم على جبهات مختلفة، فعلى مدار السنوات التي تلت الاحتلال الأمريكي ، انتشرت في العراق مئات الشركات التي تعمل بمثابة واجهة وتعتمد على أموال إيرانية. بل وتسببت «الاستثمارات» في ظهور فقاعة بمجال العقارات بمدن مثل النجف وكربلاء.. أما في البصرة، تشير تقارير إلى أن أكثر من ٧٠٪ من جميع التصاريح التجارية تخص شركات إيرانية.

استقر الآلاف من عملاء الاستخبارات الإيرانية في العراق بعد دخولهم إلى البلاد، بجانب ما يقرب من ستة ملايين حاج منذ عام ٢٠٠٣. حتى الآن، فشلت طهران في السيطرة على «الحوزة الشيعية » ذات الأهمية الحيوية في النجف، حيث يعمل عدد من كبار رجال الدين بقيادة آية الله العظمى علي السيستاني الذى يرفض مبدأ ولاية الفقيه رغم أنه إيرانى الجنسية .

ومع ذلك، تعمد طهران إلى تدريب وتعزيز جيل جديد من رجال الدين من أجل العراق، بينهم مقتدى الصدر الذي يدرس في «قم» حاليا على أمل الحصول على لقب آية الله.

وقد نشرت العديد من وسائل الإعلام تقريرا لوكالة «أسوشييتد برس»من مدينة النجف التى تضم مقار الحوزة الشيعية والمراجع الدينية الكبرى نقل عن مصادر مطّلعة في المدينة قولها بإن طهران تعزز من وجودها داخلها ، التي طالما كانت مستقلة عن المراكز الدينية الشيعية في إيران. ويقول الشيخ علي النجفي، وهو الابن والمساعد الأبرز لآية الله بشير النجفي، الباكستاني المولد وأحد أبرز أربعة مراجع كبار في المدينة: «في بعض الأحيان تحاول أيادٍ خفية التدخل في شؤون المرجعية».

وقال في إشارة ضمنية إلى إيران: «من المتوقع أن تقوم دول أجنبية بالتدخل في شؤون النجف».

وأضافت الوكالة نقلا عن مساعد للمرجع الشيعى الأعلى بالعراق آية الله على السيستاني أن رجال دين بارزين من إيران، ومن بينهم المرشد الأعلى آية الله على خامينئي، قاموا أخيرا بافتتاح مكاتب تمثيل لهم في النجف، ويقوم البعض بالحصول على «الخمس» / زكاة الشيعة وتقد ر بملايين الدولارات /وإدراج أسماء الطلبة في معاهد دينية يديرها نواب لهم.

وقال مساعد السيستاني: «عندما يغادر الأميركيون، سوف يلعب الإيرانيون بنا كما يشاءون»، مشيرا إلى المخاوف داخل مدينة النجف وفي أماكن أخرى داخل العراق من ازدياد نفوذ طهران بعد رحيل الولايات المتحدة من العراق.

والمعروف أن السيد علي السيستاني يقدم توجيهاته إلى ساسة بارزين يطلبون نصحه ودعمه من وراء الكواليس. ويتم التعامل مع تصرّيحاته بصورة حرفية، وتدخل حيّز التطبيق فور إصدارها، وتتنوع ما بين فتاوى يتم صياغتها بحرص وأحكام تتناول شؤون البلاد في المجمل. وسيلعب خليفة السيستاني، دورا هاما في صياغة مستقبل العراق، وتحديد الاتجاه الذي تسير إليه الأغلبية الشيعية. ويضفي ذلك على المنصب جاذبية خاصة بالنسبة إلى إيران، في الوقت الذي تسعى

فيه لتعزيز مكانتها مع بدء القوات الأمريكية انسحابها، المقرر أن يتم في نهاية ٢٠١١.

وتتمتع إيران فعلا بنفوذ كبير، ويعود ذلك بدرجة كبيرة إلى أن معظم الساسة الشيعة العراقيين عاشوا هناك عدة أعوام إبان حكم صدام حسين.

° العباءة والخيار

ربما لم ينتبه أحد إلى قضية هامة في العراق، تتفاعل في معيارها الحقيقي حداً يتجاوز الثقل الاقتصادي إلى قضية أبعد اجتماعياً وربما نفسيا وسياسيا حيث لم تجد الحكومات العراقية بعد التغيير حلا لكثير من المشاكل،وبالطبع سيندرج ضمنها قضية الاختلال في التوازن التجاري بين العراق وإيران،حيث كانت الجارة الشرقية تفرض حضورها الاقتصادي السلبي الجديد في البلاد، عبر إغراق السوق، وإدخال المستورد بشكل حرم الإنسان العراقي من فائدة الجودة، وشجع المستهلك أمام الأسعار الإغرائية المُنخفضة بالمقارنة والمنتج المحلي، و بشكل تسويقي مرن، يسمح بالبيع الآجل والمضمون مروره في السوق العراقية دون أي رادع.

كل هذه الأمور الخالية من أي غطاء تشريعي محلي عراقي؛ يمكن أن يساند ما تتطلبه الحاجة الوطنية، ويحدد سمات التبادل التجاري،ويكون ضامنا لجودة البضائع عابرة الحدود،والبضائع الإيرانية خاصة؛ التي يمتلىء بها السوق المحلي منذ سنوات.

هذا التسيّب والإهمال عطل بدوره عمل لجان مهمة في البلاد ،على رأسها لجان التقييس والنوعية،ممهداً لعبور (الكوارث) إلى البلاد، من خلال فسحة غياب الرقابة، لتسمم السوق،وتضع البلد تحت آلية يمكن أن توصف في مُحصلتها النهائية بالآلية الاستعمارية الاقتصادية الشاملة.

وقد أدت السياسات الإيرانية المنهجة إلى تدهور الزراعة العراقية بسبب تحويل عدد من مجارى الأنهار مثل نهرى الوند والكارون .. كما دعم انتشار العنف واستغلال المجموعات المسلحة للغابات والبساتين الخطة الإيرانية فى إغراق السوق العراقية بكافة أنواع الفاكهة والخضروات بما فيها الطاطم والخيار الإيرانى .. وقد تراجعت أعداد النخيل من حوالي ٣٠ مليوناً إلى حوالي ٥،٩ مليون بسبب الحروب وخاصة الحرب العراقية –الإيرانية وقلة المياه وملوحتها والأمراض الزراعية والإهمال. لذا بات تدهور الغابات والنباتات الأخرى عاملا مهما في تدهور البيئة وتوجهها نحو الجفاف .. فمثلا عندما تقتضي المواقف السياسية للنظام الإيراني القيام بقطع المياه عن الشيعة العراقيين في مناطق جنوب العراق فإن هذا النظام الثيوقراطي يرتكب تلك الجريمة

بحق البشر والطير والنبات بكل برودة دم وأعصاب وعاطفة مذهبية خامدة ؟!، دون أن يأخذ هذا النظام « الإسلامي - الشيعي - بنظر الاعتبار كون أهل الجنوب العراقيين هم مثلهم من المسلمين الشيعة!!..

مثلما لم يأخذ يزيد السفاح بنظر الاعتبار كون الإمام الحسين وأهله الأبرار هم من أهل البيت وأحفاد الرسول ، وذلك عندما قطع عنهم الماء ليعانوا عطشا مريرا هم وأطفالهم الصغار قبل أن ينكل بهم فى واقعة الطف عام ٦١ هجرية وهى الذكرى الأكثر ألما فى التاريخ الشيعى !..

ومما لا شك فيه أن نجاح السلع الإيرانية فى النفاذ إلى السوق العراقى ، يأتي على حساب الصناعة العراقية، وقد سجل أحد تلك المنتجات من المكيفات كأعلى سلعة مبيعا في بغداد لستة أعوام متتالية[1] ويقبل الزبائن في العراق ليس فقط على مكيفات الهواء القادمة من إيران، بل على سلع أخرى كثيرة، فالمواد الغذائية والخضروات وكل شيء يأتي من إيران أرخص كثيرا وما عليك إلا أن تزور الحدود الإيرانية العراقية لترى مئات الشاحنات القادمة كل يوم، محملة بكل شيء من الفواكه والأسمدة، إلى الطوب والأجهزة وغيرها.. إذ بعد عقود من العقوبات.. العراقيون مقبلون على السلع الاستهلاكية... وإيران هي المصدر الأول لها بالإضافة إلى تركيا .

ولا يمكن للمصانع العراقية التي عفا عليها الزمن أن تنافس المنتجات المستوردة بأي حال من الأحوال، في وقت لا تفرض فيه الدولة أي رسوم على الاستيراد، بينما تدعم طهران صادراتها بإعانات سخية.

ويقول فوزي الحريري وزير الصناعة العراقي : «عندما سقط نظام صدام ، سقط معه كل شيء.. واليوم في الوقت الذي كان أكبر تهديد لنا هو الإرهاب، فإن ثاني تهديد هو الخطر المحدق بالتنمية الاقتصادية في هذا البلد» .

ولا يتوقف الإغراق الإيرانى للسوق العراقى على السلع الإستهلاكية والمواد الغذائية وغير ذلك من الصادرات إنما تجاوز الأمر إلى أن تسعى إيران إلى فرض نمط من الملابس يرتبط إرتباطا مباشرا بالتراث الثقافى والدينى العراقى وأقصد بذلك العباءة (العباية) العراقية التى تعتبر نموذجا لحجاب المرأة العراقية، وأهم رموز الأزياء الشعبية في الجنوب والوسط، .. حيث اشتهرت المرأة العراقية بعباياتها

(١) يستورد العراق ملايين المكيفات التي تعمل بالماء والتي يطلق عليها «المبردة» أو مكيف الصحراء والتي ورد شرح كيفية عملها في جزء سابق نظرًا لأنها تستهلك الكثير من الكهرباء .

حتى تغزّل الشعراء بها.. ولعل الأغنية التراثية العراقية المشهورة التي تقول : «يا أم العباية حلوة عباتج - يا سمره هوايه، زينه صفاتج» / حرف الجيم عند العراقيين يحل محل الكاف/ خير دليل على ذلك الرمز الشعبي العراقي الجميل الذي أصبح جزءًا لا يتجزأ من حياة المرأة في كثير من المناطق خاصة الوسط والجنوب .

إلا أن الذي بدأ يهدد هذا الرمز هو المنافسة الشديدة التي دخلت عليه من قبل التشادور (أو الجادر) الايراني. فقد بدأت الفتيات العراقيات بارتدائه وخصوصا في مناطق المراقد المقدسة لدى الشيعة فى النجف وكربلاء وأصبحت ظاهرة ارتداء التشادور أمراً يكاد يكون مألوفا.

ويبدو أن سياسة الإغراق تعد من أهم الأسباب وراء هذه الظاهرة حيث إن العباية العراقية غالية الثمن بالقياس مع التشادور فقد وصل سعر «الشيرازه» كما يسميها العراقيون وهو طريقة خياطة العباءة إلى ٢٥ ألف دينار ناهيك عن سعر القماش الذي يصل أحياناً إلى ٥٠ ألف دينار عراقي وقد تصل العباءة المتوسطة إلى أكثر من ١٥٠ ألف دينار عراقي ومنها ما يصل إلى ٥٠٠ ألف دينار/ الدولار يساوى ١٢٠٠ دينار تقريبا.

وإذا كان إغراق السوق العراقى بالبضائع الاستهلاكية رخيصة الثمن قد أدى إلى تدهور القطاعين الزراعى والصناعى إلا أن هذه الظواهر ليست مجرد أزياء دخلت البلاد بل هي ثقافة جديدة حيث من المعروف أن الأزياء لها سلوكيات خاصة وتأثيرات نفسية تؤثر بمن يرتديها فلكل نوع من اللباس طريقة في الحركة والسلوك وهذا ما يؤكده علماء الاجتماع والنفس معا .. كما أن «التشادور» الإيرانى لا يمثل حالة وجدانية لدى المرأة العراقية كما تمثله العباءة وهو ما يؤدى إلى وجود حالة من الانقطاع الوجداني وهو بمثابة غزو ثقافى إيرانى يضاف إلى أنواع الغزو الأخرى .

وتشير التقارير إلى أنه يجري في الأسواق القديمة في كربلاء المقدسة لدى الشيعة والتى تضم مرقد الإمام الحسين ثالث الأئمة وأخيه غير الشقيق العباس بن على بن أبى طالب تداول التومان الإيراني جنبا إلى جنب مع الدينار العراقي. لكن العملات الورقية التي تحمل صورة آية الله الخميني والأحاديث باللغة الفارسية ليست المظاهر الوحيدة التي تضفي نكهة فارسية إضافية على المدينة.

فعلى أرفف المتاجر تقبع حاويات ضخمة من العسل ومساحيق التجميل ومعجون الأسنان، وكلها وجدت طريقها عبر الحدود المتنازع عليها بين البلدين وتتميز بأنها رخيصة لكنها جيدة، والبعض لا يهتمون بشأن التكلفة، لكن من يرغبون في شراء منتجات منخفضة التكاليف يلجأون إلى المنتجات الإيرانية .

وتجلب التجارة مع الجارة الشرقية إلى العراق الأموال التي يحتاجها بشدة

وينتظر توقيع اتفاقيات بين البلدين بقيمة مليار دولار وهناك عدد من البنوك الإيرانية المدرجة على القائمة السوداء الأمريكية ستفتتح فروعا لها في العراق « وفقا لتقرير الأسوشيتيد برس» .. وقد تعددت لقاءات المسؤولين الإيرانيين والعراقيين، ونتج عن هذه الزيارات العديد من اتفاقات التعاون الاقتصادي بين البلدين ومن بينها اتفاقات تزويد الطاقة للعراق والتعهدات بإنشاء منطقة تجارة حرة عبر الحدود بين البلدين. وعرضت إيران على جارتها قرضا بمليار دولار لشراء منتجات إيرانية.

وفي البصرة ثاني أكبر المدن العراقية ومعقل الجماعات الشيعية القوية، اجتمعت أكثر من ٦٠شركة تجارية إيرانية ربيع العام ٢٠١٠ في معرض للأعمال على مدار خمسة أيام يعد الأضخم من نوعه بالنسبة لحدث تشارك فيه إيران منذ الغزو الذي قادته الولايات المتحدة. وضم المعرض منتجات شملت شاحنات لنقل البضائع المجمدة ودراجات نارية إلى جانب منتجات الألبان والبضائع المعلبة والملابس والإسمنت.

ويقول حيدر علي فاضل، الذي يترأس مفوضية البصرة للاستثمار: إنه تم توقيع اتفاقية بما يقرب من مليار دولار مع شركة إنشاءات إيرانية لبناء آلاف المنازل وفنادق وأسواق تجارية في المدينة. افتتح بنك «ملي» الذي تملكه الحكومة الإيرانية فرعه الثاني في العراق على الرغم من خضوع البنك لعقوبات أميركية وأوروبية نظرا لعلاقته بالبرنامج النووي الإيراني. ويتوقع أن يفتتح بنكا «بارسيان» و«كارافارين»، الموضوعين على قائمة الترقب الأميركية فروعا لهما في العراق .

ويقول مسؤولو السفارة الإيرانية في بغداد أن مستويات التجارة الفعلية بين البلدين تصل إلى ٧ مليارات دولار، وهو ما يجعل العراق واحدا من أضخم الشركاء التجاريين لإيران. وتتطلع وزارة التجارة الإيرانية إلى رفع حجم التجارة بين البلدين إلى ١٠ مليارات دولارات سنويا خلال السنوات الثلاث المقبلة.

ويقول كنيث كاتزمان، وهو متخصص فى شئون الشرق الأوسط بمركز أبحاث الكونجرس التابع للحكومة الأمريكية: «بالنسبة لإيران فإن الاستثمارات في مكان مثل البصرة والأماكن المقدسة مثل النجف وكربلاء هي أدوات تكميلية لبسط نفوذها في العراق. أنا لا أرى الولايات المتحدة ترغب في تعزيز ذلك، فمصلحة الولايات المتحدة تكمن في عزل إيران. وليس في تشجيع التكامل الاقتصادي».

وكانت إيران قد سعت لسنوات لإنشاء خط أنابيب يحمل النفط العراقي إلى معمل تكرير عبادان الإيراني، ثم يشحن النفط المكرر إلى الاتجاه المعاكس. وتصدر

إيران فعليا النفط إلى العراق، على الرغم من افتقار كل منهما إلى القدرات التكريرية لمواجهة الطلب المحلي المتزايد. ويقول صامويل سيزكوك، محلل شؤون الطاقة في «آي إتش إس جلوبال إنسايت»: «إنها خطوة ذات دوافع سياسية».

وعلى الرغم من قول العديد من العراقيين إنهم يستفيدون من العلاقات الوثيقة مع إيران، فإنهم يبدون تذمرا من إغراق السوق العراقية بالمنتجات الإيرانية الرخيصة رديئة الجودة التي تزيد من صعوبة المنافسة أمام الشركات المحلية.

وهناك أيضا عدد آخر من الشكاوى، ففي ردهة فندق نور الزهراء في كربلاء، تقبع ساعتان على جدران البهو : إحداهما تعمل حسب التوقيت العراقي والأخرى حسب توقيت طهران. لكن مالك الفندق إسماعيل محسن عبيد علي يقول إنه يحاول تجنب تأجير الغرف للإيرانيين الذين يقول عنهم إنهم مثيرون للمشكلات. القضية كما يقول هي الشركة المعروفة باسم «هيئة الحج والعمرة» المملوكة للدولة الإيرانية تقتصر على السياحة الدينية التي تدفع بـ٥٠٠٠ شيعي إيراني إلى العراق كل يوم. ويفرض ممثلو الحكومة شروطا قاسية، يطالبون فيها بتخفيضات ويتعاملون مع عدد محدود من وكالات السفر المعروفة، بحسب عبيد علي ورجال أعمال آخرين.

• الشيطان وامبراطورية الشر

قلما تجد صحيفة عربية أو عالمية، وكذلك قلما تجد نشرة أخبار عربية أو عالمية، إلا وقد نقلت خبراً بخصوص تهديد أمريكا لإيران، واحتمالية أن تتجه أمريكا لحرب إيران عسكرياً نتيجة للنشاط النووي البارز الذي تقوم به هذه الدولة «المارقة» بحسب توصيف الرئيس الأمريكي السابق جورج بوش..

ويتساءل الكثيرون: هل يمكن - فعلاً - لأمريكا أن تفتح جبهة جديدة للحرب ضد إيران؟ وهل خطورة النشاط النووي الإيراني ستدفع أمريكا إلى تكرار تجربة العراق؟ وهل المصلحة الأمريكية في العالم الآن تستلزم هذه الخطوة الخطيرة؟

كلها تساؤلات تجعل العالم يتابع باهتمام هذه القضية الحساسة..

والذي يبدو لي في هذه المسألة أن احتمال ضرب أمريكا لإيران بعيد جداً، بل لعله غير وارد بالمرة!

فأمريكا لم تصل إلى هذه الدرجة من الغباء حتى تفتح على نفسها جبهة جديدة في إيران؛ لأن الجيوش الأمريكية دخلت في مستنقع العراق، ووجدت ما لم تكن تتوقعه من المشاكل، وتعرضت لما خرج عن حساباتها من الخسائر، والكثير من

الشعب الأمريكي يطالب بسحب القوات من العراق، وفاز باراك أوباما على جون ماكين فى الانتخابات الرئاسية الأمريكية لأن هناك من يريد أن يغير وخاصة فى إطار البحث عن وسيلة لإنهاء المشكلة العراقية.

كما أن أمريكا تعلم جيدا أن ضرب إيران قد يُوَحِّدُ السنة والشيعة – على الأقل سياسيًا - في قضية واحدة هي الحرب ضد الأمريكان، وهذا قد يُتْعِبُ الأمريكان كثيراً؛ كما أن تجربة أمريكا الوحيدة في إيران عام ١٩٨٠ لتحرير دبلوماسييها المحتجزين من قبل شباب الثورة الإيرانية، كانت تجربة سلبيّة، وفقدت فيها أمريكا جنوداً وطائرات وموقفاً سياسيًا، كما أن أمريكا تعلم أن النشاط النووي الإيراني ليس وهميًا كالذي كانت تتهم به العراق؛ ومن ثم فإن ضرب إيران لا بُدَّ أن يحمل خطورة عليها .

هذا بالنسبة لأمريكا أما بالنسبة لإيران فإن الوقائع التاريخية تشير إلى أنه ليس من المعتاد أن تُكَشِّرَ هذه الدول أنيابها في وجه المعتدين جديا ، إلا إذا تعرضوا لها شخصيًا حيث يصبح القتال من أجل البقاء فالدولة الصفوية الشيعية لم تحارب فرنسا وانجلترا وروسيا، بل حاربت الدولة العثمانية السنية.

والدولة الإيرانية الشيعية لم تحارب روسيا الملحدة بل كانت تخطف المجاهدين الأفغان، ولم تحارب أمريكا أو اليهود بل حاربت العراق ثمان سنوات وكلنا يعلم أن الحرب ضد طالبان أفغانستان لم يكن انتصارا أمريكيا فقط بل إنتصار للدولة الشيعية ضد طالبان الوهابية المتشددة ..

كل هذا التاريخ يُرَجِّحُ أن إيران لن تتطوع بحرب ضد اليهود أو الأمريكان إلا إذا حدث غزو لأرضها فهنا ستظهر المخالب دفاعًا عن الرقعة التي يسيطرون عليها، تمامًا كما حدث من حزب الله عند احتلال جنوب لبنان فقط إلا أنه وقف لم يحرك ساكنا عندما ضربت إسرائيل غزة بمنتهى القسوة بل وحاول دفع اتهام عن نفسه عندما أطلقت صواريخ كاتيوشا من لبنان إبان تلك الحرب .

وقد ذكرنا فى وضع سابق من الكتاب أن الرئيس الإيراني أحمدي نجاد زار العراق تحت حماية أمريكية! مما يؤكد أن العلاقات ليست بالسوء الذي تصفه وسائل الإعلام..لهذا فإننى أتصور أن التضخيم من شأن النشاط النووي الإيراني والتهويش الدائم بضربها لا يحمل إلا معنى واحداً، وهو أن أمريكا تريد أن تصنع من إيران «بعبعًا» جديداً يُخَوِّفُ المنطقة بكاملها؛ بحيث يصبح الوجود الأمريكي في العراق والخليج مُبَرَّرًا؛ أي أن إيران ستقوم بالدور الذي كان يقوم به صدام حسين قبل ذلك، حيث حرصت أمريكا على إبقائه في مكانه دون أذى ثلاثة عشر عامًا

كاملة، حتى يقبل الجميع بوجود الحامي الكريم (أمريكا) لتحفظ البلاد الإسلامية من شرور صدام! ثم انتهى دور صدام، وضعفت قوته إلى الدرجة التي لم يعد فيها مُخيفاً لغيره، فكانت تمثيلية أسلحة الدمار الشامل ثم القضاء عليه واحتلال العراق، ولم يجد أحد أسلحة دمار شامل ولا غير شامل لكن الناس تنسى بسرعة، والآن تحتاج أمريكا إلى «بُعْبُع» جديد تُبْقِيه تحت السيطرة، فلا يؤذي أحداً، ولا تنمو له مخالب، ولا يتطوع بهجوم أو تهور، ولم تجد أمريكا أفضل لهذا الدور من إيران؛ ولذلك قادت هذه الحملة الإعلامية المنظّمة..

وقد ينتهي دور إيران بعد عدة سنوات، لتبحث أمريكا عن بُعْبُع جديد، ولن تنتهي هذه اللعبة السخيفة إلا عندما يصبح المسلمون قادرين على الدفاع عن أنفسهم ضد أي بُعْبُع في المنطقة سواء كان إيرانياً أو أمريكياً أو يهودياً أو حتى من الفضاء الخارجي!!

إن زيارة احمدي نجاد للعراق هي تتويج طبيعي للتلاقي الإيراني – الأمريكي – الإسرائيلي، في عهدي الشاه والخميني، حول هدفهم المشترك وهو تفتيت الأمة العربية كلها، بسلاح الطائفية الآن، وبسلاح القوة في عهد الشاه، فكل السياسات الإيرانية وبغض النظر عن النظام السياسي موجهة أساسا للهيمنة على الأمة العربية وغزو أجزاء منها، جغرافيا وسكانيا، وإقامة إمبراطورية فارسية تحت غطاء الدين، لذلك يجب أن لا نفصل الزيارة عن إطارها الاستراتيجي وسياقها التاريخي.

لقد جسدت الخومينية أقوى أشكال العداء القومي الفارسي للأمة العربية برفع شعار اسماه (الثورة الإسلامية) في الوطن العربي وليس في بلدان غير إسلامية، وكانت الترجمة لهذا الشعار، والتي أشعلت الحرب الدامية بين العراق وإيران، في عام ١٩٨٠، هو (تحرير القدس عبر تحرير بغداد) واتخاذ خطوات عملية لتنفيذه وأهمها إعلان رسمي إيراني متكرر بان إسقاط نظام البعث والرئيس صدام حسين هو الخطوة الأولى نحو تحرير القدس! واقترن ذلك بالقيام بنشر أعمال التخريب والاغتيالات في العراق! .

وتشير الوقائع التى تناقلتها وسائل الإعلام إلى هذه الصلة الأمريكية مع إيران ومعهما إسرائيل ، فلقد ثبت وباعترافات رسمية إيرانية وأمريكية وإسرائيلية، بان إيران تلقت أسلحة ضخمة من امريكا وإسرائيل، فيما سمي (إيران – كونترا جيت). ومن المثير للتأمل والدهشة هو أمريكا قد دعمت العراق أثناء الحرب مع إيران إلا أن إسرائيل وأمريكا قدمتا السلاح لإيران أثناء الحرب .

جاء غزو العراق ليقدم الحقائق الدامغة والتي يستحيل إنكارها على أن إيران، هي حليف أمريكا الأساسي في الحرب على العراق وأصبحت اذرع إيران في العراق هي القاعدة الأساسية للاحتلال، وتلك حقيقة لا يمكن إنكارها وكانت إيران أول دولة تعترف بالاحتلال، من خلال زيارة وزير خارجيتها، الذي كان أول وزير خارجية يدخل العراق بعد الاحتلال ويؤيده .

استطاعت إيران، وبواسطة فرق الموت التي توجهها المخابرات الإيرانية باغتيال آلاف الضباط والطيارين العراقيين، بهدف الانتقام من الجيش بالإضافة إلى تصفية الضمانة الأساسية لقدرة العراق على إعادة ما دمره الغزو ومواصلة التقدم، وهي العلماء والمهندسين والأكاديميين، نتيجة وجود معلومات لدى إيران من داخل العراق سابقة للغزو عن أسماء اغلب هؤلاء.

ولا يمكن فصل تصريحات المسؤولين الإيرانيين عن استعداد بلدهم لملء الفراغ الذى ستتركه القوات الأمريكية عند رحيلها عن ما قامت به إيران من تفاوض مع أمريكا رسميا حول ما أسمته (مستقبل العراق)! وكأن العراق محافظة إيرانية كما كرر اكثر من مسؤول إيراني الاعتراف الذي صدر عن محمد خاتمي في نهاية عام ٢٠٠٤، حينما كان رئيسا لإيران، وهو انه (لولا مساعدة إيران لما نجحت أمريكا في غزو أفغانستان والعراق)! أن هذا الاعتراف الذي كرره أقطاب إيران ومنهم هاشمي رفسنجاني واحمدي نجاد وغيرهم بطرق مختلفة لكنها تتفق على أن إيران كانت هي المساعد الأول لأمريكا في النجاح بغزو العراق، هذا الاعتراف وحده يكفي لإثبات أن إيران شاركت أمريكا في غزو وتدمير العراق، لقد بدأ التدخل الإيراني في الشأن العراقي منذ سقوط صدام، وراح يتسع ويتفاقم على كل الأصعدة: استخباريا، وتسليحا للإرهاب، ودعما للمليشيات وحتى للقاعدة، وكذلك التدخل تجاريا ودينيا واقتصاديا، وحتى لغويا. هذا كله معروف، وقد نشر عنه الكثير جدا من المقالات والتقارير والوثائق.

وإذا كان رئيس مجمع تشخيص مصلحة النظام فى إيران على أكبر هاشمى رفسنجاني قد أبدي سعادته لأن « أصدقاء إيران» في السلطة إلا أن ذلك لم يمنع إيران من التخريب، وتسليح الإرهاب، وتغلغل عنصر فيلق القدس، وإيواء زعماء من القاعدة كما أن إيران ترفض التنازل عن «تعويضات» تطالب بها العراق بسبب حرب الثمان سنوات باعتبار أن صدام حسين هو الذى بدأ بالحرب ، وإن كان هذا هو الثابت فعلا إلا أن الخميني أطالها سنوات، وهو ما يعنى أن التعويضات واجبة على الطرفين .

وسوف أنقل مقالا كتبه الأستاذ مهدى قاسم في موقع صوت العراق الإلكترونى واسع الانتشار بعنوان هذا ما جناه الشيعة من النظام الإيراني : مآس و معاناة لتوضيح أن المسألة ليست شيعة وسنة وإنما مصالح إيرانية يجرى الحفاظ عليها رغم أى علاقة قائمة بين النظام الإيرانى ومن يعتبرون أصدقاء كما صرح رفسنجانى .

يقول مهدى قاسم « لقد سبق لنا أن كتبنا مرارا وتكرار بأن أنظمة الحكم الإيرانية السابقة أو الراهنة و ربما اللاحقة أيضا ، تأتي عندها أولويات مصالحها القومية العليا في الدرجة الأولى والأخيرة واضعة إياها فوق أي اعتبار ديني أو مذهبي أخر، وما المزاعم المذهبية أو الدينية التي اتكأت عليها أو ترفلت بمسوحها هذه الأنظمة ولاسيما نظام الملالي الحالي ، إلا مجرد وسائل وتوظيفية دعائية من أجل نشر وتوسيع هذه المصالح القومية العليا والنفوذ « الفارسي » في بلدان مجاورة أو بلدان أخرى بعيدة بعض الشيء ، ولكن أخس الوسائل وأكثر وضاعة ودناءة التي استعان ويستعين بها النظام الإيراني الحالي هو جعل الشيعة غير الإيرانيين وقودا ومحرقة لتعميق وترسيخ هذه المصالح القومية « الفارسية» لحد التضحية بالشيعة غير الإيرانيين كما لو كانوا خرافا للقرابين و الأضحية الرخيصة في محراب مصالح إيران القومية العليا ..

وقد كان لحصة لشيعة العراقيين النصيب الأكبر و الأكثر من هذه التضحية والمحرقة والقرابين الرخيصة والبالغة بمئات آلاف من ضحايا الإرهاب التكفيري ـــ البعثي ، المدعوم أصلا من قبل النظام الإيراني نفسه منذ سقوط النظام السابق و حتى الآن ..

وهو النظام الذي احتضن بعضا من قادة وعناصر « تنظيم القاعدة ، الذين وضعوا أمام عيونهم إبادة الشيعة في العالم و خاصة الشيعة العراقيين كهدف رئيسي ووحيد !..

وأكبر دليل على ما نقول هو موقف النظام الإيراني الحالي من سكان مناطق جنوب العراق وغيرهم وهم الذين جلهم من الشيعة ، والذين يعانون من شحة المياه وكثرة اليباس واتساع وانتشار الجفاف وتشقق الأرض العطشاء وتيبس العشب ونفوق الحيوان وهجران الطير ، وتصحر الأرض المعطاء لتصبح جدباء ، وحيث تشرد آلاف عائلات على أثر ذلك الجفاف والتصحر ونتيجة مباشرة لذلك ، بسبب تحويل مسار أنهار عديدة نحو العمق الإيراني وحرمان أراض عراقية شاسعة الأطراف وكذلك آلاف من سكانها من تدفق مياه هذه الأنهار نحو مناطقهم

وروافدهم داخل العراق !..

بينما في مقابل ذلك نجد الإعلام الطائفي المنحاز والحاقد يشحّن ويؤلب الشارع العربي بالأحقاد والكراهيات المذهبية ضد الشيعة بشكل عام و ضد الشيعة العراقيين بشكل خاص ، وتحاول بكل خبث تصويرهم على أساس أنهم عملاء النظام الإيراني وناشري نفوذه ومصالحه في البلدان العربية ، في حين أن الشيعة العراقيين وكما أتضح ويتضح مراراً ، إنهم أكثر البشر تعرضا للأضرار والمعاناة والكوارث والمأساة والمعاناة اليومية بسبب موقف النظام الإيراني الداعم للإرهاب في العراق وعملياته التخريبية المتواصلة لإبقاء الوضع الأمني في العراق مضطربا ومتدهورا وهشا وقابلا للانفجار ، ليبقى هو مسيطرا على المفاصل السياسية الأساسية في العراق تمهيدا للهيمنة النهائية عليه ـــ ولو بشكل غير مباشر ـــ بعد الانسحاب الأمريكي النهائي من العراق ..

لنصل في المحصلة النهائية إلى النتيجة التالية :

- أن الشيعة في العالم وخاصة الشيعة العراقيين لم يجنوا من النظام الإيراني « الشيعي » الحالي غير المآسي والمعاناة والقتل والحروب و مواسم الموت والتخلف والجهل والدسائس والمؤامرات وتدمير الزرع والضرع ، سواء من خلال دعم الإرهاب أو من خلال قطع المياه - كعملية تدمير وتخريب إيرانية موجهة ضد الشعب العراقي و خاصة المكوّن الشيعي منه ، وهو الأمر الذي جعل بعض الشيعة العراقيين المخدوعين بالنظام الإيراني ، أن يروا الأمور كما هي بكل حقائقها العارية ، وأن يرفعوا أصواتهم منددين وفاضحين النوايا الجهنمية و العدوانية والعنصرية الحاقدة للنظام الإيراني والمبيتة ضد الشعب العراقي بجميع مكوناته و بدون أي استثناء بين هذا المكوّن أو ذاك ..

من هنا نرى أنه من السذاجة بمكان تماما ، التعامل مع النظام الإيراني على أساس مذهبي أو ديني ، بقدر ما يجب التعامل معه على أساس كونه نظاما قوميا وعنصريا مستعد للتضحية بجميع شيعة العالم من أجل نشر وتقوية مصالحه القومية ونفوذه السياسي في جميع أنحاء العالم بدليل أن هذا النظام قد ضحى بشيعة العراق ، وكذلك ورط الحوثيين في اليمن بالتمرد والقتال دون أن يلجأ إلى مساعدتهم .

في الحقيقة لم يكن هذا الموضوع أول الغيث الذي نحن بصدده بل سبقته مزن كالحة عديدة تشي بان العراق مقبل على أن يكون رهينة بيد المد الديني المخيف الذي اخذ يتناسل مثل السرطانات ولهذا المد فكره المتخلف ورجالاته القساة مسخرين

أموال العراق لتمرير هذه المخططات التي إذا ما استمر الصمت لإيقافها فلنتهيأ لقراءة الفاتحة على ما تبقى من هذه الدولة المنكوبة. فمنذ سقوط الصنم وحتى خراب طويريج ونحن نراقب ونعاين ونعايش مسلسل الخراب يوميا لا على يد المأفونين البعثيين وفلول القاعدة فهؤلاء قد خبر أفعالهم العراقي المكلوم بل على يد الفرسان الجدد.

اليوم يصل إلى أسماعنا خبر يقضي باتخاذ مجلس محافظة البصرة قرارا وسابقة خطيرة في نظر من يحترم فسحة الحرية واحترام حياة الناس ذلك أن المجلس الموقر قرر منع شرب وبيع الخمور وكأني بهذا المجلس الخراف قد حل كل مشاكل البصرة من عدم انقطاع التيار الكهربائي وتزويد البيت البصري والمرافق الحياتية الأخرى بالماء الصالح للشرب وبناء مجمعات سكنية لإيواء المشردين والعمل على إعادة إيجاد البنى التحتية المخربة من طرق وشوارع ومياه صرف صحي وبناء مستوصفات وإيجاد حلول لمشكلة البطالة المتفاقمة وغيرها من العشرات من المشاكل المتعاظمة والتي حولت المجتمع البصراوي إلى جحيم حقيقي أسوة ببقية مناطق العراق المنكوبة.

• صفقات إيران مع الغرب

كشف سفير بريطانيا لدى الأمم المتحدة السير جون ساورز لبرنامج وثائقي بثته «بي بي سي» عن مفاوضات الكواليس بين إيران والغرب وكانت الهجمات المسلحة ضد الجنود البريطانيين والأمريكيين في العراق قد تصاعدت وبلغت ذروتها عام ٢٠٠٥ وكان مدى الدور الإيراني في تسليح وتدريب الميليشيات مجهولا آنذاك.

وبينما أنكرت إيران أي دور فيما كان يحدث، كان المسؤولون البريطانيون يغلفون اتهاماتهم بالقول: أن «لديهم أدلة مفصلة».

ويكشف الدبلوماسي البريطاني ليس عن اعتراف الإيرانيين بضلوعهم وحسب، بل وعن عرض مثير للدهشة للتوقف عن هذه الهجمات في العراق مقابل توقف الغرب عن الاعتراض على برنامج إيران النووي المثير للجدل.

وقال السير جون ساورز: أن الإيرانيين عرضوا الاقتراح خلال محادثات غير رسمية بأحد فنادق لندن.

وأضاف قائلا لـ«بي بي سي»: «اتصل عدد من الإيرانيين جاؤوا إلى لندن واقترحوا جلسة شاي في هذا الفندق أو ذاك. إنهم يحاولون نفس الشيء في باريس وبرلين. بعدها نقارن بين ما سجلناه».

وزاد موضحا: «كانوا يريدون الحصول على صفقة يتوقفون بموجبها عن قتل قواتنا في العراق مقابل السماح لهم بالاستمرار في تطوير برنامجهم النووي: ؟نتوقف عن قتلكم في العراق، وتسمحون لنا بالاستمرار في برنامجنا النووي دون عراقيل.»

وبعد أن رفضت بريطانيا العرض استؤنفت عمليات تخصيب اليورانيوم بعد وقت قصير.

إنه حادث واحد يكشف عن نمط من صفقات الكواليس التي أبرمت مع الإيرانيين منذ عام ٢٠٠١.

ويبدو من اللقاءات مع المسؤولين الإيرانيين والأمريكيين أن طهران ومنذ سبتمبر/ أيلول عام ٢٠٠١ تعاونت عن قرب مع الولايات المتحدة لقلب نظام طالبان في أفغانستان، وبلغ هذا التعاون حدا كشفت فيه عن معلومات استخباراتية للأمريكيين

وتتذكر هيلاري مان وكانت عضوا في إحدى البعثات كيف ضرب مسؤول عسكري إيراني بقوة على الطاولة للضغط على الأمريكيين حتى يغيروا الهدف.

وقالت للـ«بي بي سي» موضحة: «إنه نشر خارطة ثم أشار إلى الأهداف التي ينبغي أن يركز عليها الأمريكيون. ولقد حملنا معنا الخريطة إلى مركز القيادة، واعتمدنا بالفعل هذه الخطة.»

وفيما يتعلق بالعراق عرض الرئيس الإصلاحي محمد خاتمي التعاون من أجل الإطاحة بصدام حسين بحجة أن الزعيم العراقي كان عدوا لإيران أيضا، لكن العلاقات ساءت بعد أن أدرج الرئيس السابق جورج بوش الابن إيران ضمن ما سماه «محور الشر».

ولم تسفر محاولات الأوروبيين لفتح مفاوضات عن أي نتيجة.

ووفقا لنيك بيرنز المكلف بالملف السياسي في وزارة الخارجية على عهد الإدارة الأمريكية السابقة يبدو أن اللهجة المتشددة مع إيران لم تكن مثمرة.

وقال بيرنز: « لقد أيدنا تغيير النظام، لقد فضلنا موقف التهديد خلال عدة سنوات. ولم يؤد ذلك إلى أي نتيجة إيجابية إطلاقا.»

إن لقطات البرنامج الوثائقي عن سلسلة اللقاءات غير الرسمية التي أجريت على امتداد عدة سنوات وأثمرت تعاونا حقيقيا قد تبدو مشجعة، لكن مجموعة اللقاءات الصحفية المذهلة لا تكشف عن آفاق مستقبل العلاقات وعن إمكانية تحسنها.

وتبقى العقبة الأساسية قائمة: فكل الساسة وأصحاب القرار في إيران -حتى الرئيس الإصلاحي السابق محمد خاتمي - يصرون على حق إيران في تطوير برنامجها النووي دون عراقيل.

وفي المقابل يصر الغرب على الاعتقاد بأن هذا البرنامج ستار لتطوير سلاح نووي، ويطالب بوقف نشاط تخصيب اليورانيوم.

• صفقة مجاهدى خلق

بين مئات الملفات العالقة و القضايا الغامضة ووسط ركام الفوضى وتداخلاتها في المشهد السياسي العراقي الراهن يبدو مصير المعارضة الإيرانية المقيمة في العراق، وتحديدا أقوى تياراتها وهي جماعة «مجاهدي خلق» مجهولا في ظل الصراعات الصامتة بين أطراف مهمة في السلطة العراقية الراهنة، والتي تدعو علنا للتخلص التام من تلك الجماعة و تدعو إلى طردها من العراق بالكامل أو تسليم قياداتها وعناصرها للنظام الإيراني! و هو ما تختلف بشأنه بكل تأكيد بقية القوى السياسية العراقية المشاركة في العملية السياسية أو تلك التي تتفرج على الأوضاع العامة؟ وليس سرا أن تشابك المواقف العراقية هو حالة غريبة و عجيبة لا نظير لفرادتها ، فالوجود الإيراني المعارض في العراق هو وجود قديم ويمتد تحديدا لأكثر من ربع قرن مضى و تحديدا منذ الشهر الأول للحرب العراقية - الإيرانية التي اندلعت في سبتمبر ١٩٨٠ و من ثم سلسلة الأحداث الداخلية العنيفة في إيران، والتي تميزت بالصراع الشديد والدموي بين المؤسسة الدينية الإيرانية وبين بقية القوى السياسية التي شاركت في عملية التغيير الثوري الكبيرة وإسقاط نظام الشاه الراحل و التي سرعان ما دخلت في صراع دموي مع منافسيها ضمن إطار النظرية المعروفة دائما : (الثورة تأكل أبنائها)! ، وقتها جرت اغتيالات و تصفيات متبادلة و جاءت الحرب بين إيران و العراق لتضفي على مشاهد الصراع الإقليمي خلفيات مبهرة من التداخلات والتدخلات فالنظام الإيراني احتضن بشكل واسع المعارضة الدينية العراقية بل ودعمها علنا في حملتها لإسقاط النظام البعثي السابق و إقامة البديل الإسلامي على النمط الإيراني وفقا لرؤى تلك الأيام! وضمن إطار ومخطط تصدير الثورة الإسلامية لدول الجوار و حيث يحتل العراق محط الاهتمام الأول في هذا الإطار .. النظام العراقي السابق بدوره استجاب للتحدي الإيراني ودعا المعارضة الإيرانية للعمل من خلال البوابة العراقية و كجزء من حال الفعل و رد الفعل و الاعتماد على كل الأوراق المتوفرة من أجل حسم الموقف ، وفعلا فقد أضحت الساحة العراقية مجالا رحبا لقوى المعارضة

الإيرانية الرئيسية و خصوصا «مجاهدي خلق» الذين تمركزوا في مواقع قرب الحدود المشتركة و تحديدا ضمن محافظة ديالى و في معسكر «أشرف» الذي تحول لمدينة كاملة لها منشآتها ومؤسساتها خصوصا إلا أن التغيير الكبير في المنطقة بقيام الولايات المتحدة بإسقاط النظام العراقي السابق عام ٢٠٠٣ فرض واقعا جديدا تميز بالغرابة ، فمدينة «أشرف» أضحت محمية من جانب القوات الأمريكية المحتلة للعراق إضافة لوسائل الحماية الذاتية لقوى المعارضة الإيرانية المسلحة ؟ كما أن هذه المدينة و في خضم تطور و توسع النفوذ العسكري و السياسي و الاستخباري الإيراني في العراق أضحت هدفا سهلا للنظام الإيراني الذي يريد إغلاقها بالكامل أن لم يكن تدميرها بشكل نهائي خصوصا و أن حلفاء النظام الإيراني المعروفين من القوى السياسية العراقية لم تتمكن أبدا من اختراق الطوق بسبب موقف القوى السياسية العراقية الأخرى في التوافق و الحوار و بعض العشائر العربية ، و بسبب الواقع الاجتماعي المعاش و علاقات الصداقة التي نمت بين أهل «أشرف» و المحيط المجاور إضافة لموقف الحكومة الأمريكية الذي لم يسمح أبدا بالمساس بتلك المدينة رغم أن العلاقات الرسمية بين الولايات المتحدة و«مجاهدي خلق» ليست حسنة بما فيه الكفاية لرفع اسم المنظمة الإيرانية من قائمة الجماعات الإرهابية على العكس تماما من الموقف الأوروبي المساند لتلك الجماعة التي تحظى بنفوذ في فرنسا و ألمانيا و هولندا، و كل دول الإتحاد الأوروبي ، وإزاء المستجدات الكبيرة في الساحة العراقية و توقيع الاتفاقية الأمنية مع الولايات المتحدة، وهي الاتفاقية التي تنظم شكل و طبيعة الوجود الأمريكي و بما يؤدي لانسحاب عسكري أمريكي من العراق خلال السنوات الثلاث المقبلة برزت من جديد قضية «مدينة أشرف» و الوجود الإيراني المعارض الذي يعتبر ورقة قوية جدا للجانب الأمريكي في أي عملية مفاوضات مقبلة مع الإيرانيين .

رفع الأمريكيون طوق الحماية الأمنية و العسكرية حول معسكر مدينة «أشرف» وهو ما أدي في النهاية لاجتياحها عسكريا و أمنيا من قبل قوات الأمن العراقي وسمحت الولايات المتحدة بحدوث كارثة بشرية هناك في ظل الرغبة الرسمية الإيرانية لإبادة تلك المدينة بمن فيها بعد أن انتقلت الحماية الأمنية المباشرة للقوات العراقية وقد تابعنا منذ بداية العام ٢٠٠٩ وسريان الاتفاقية الأمنية محاولات سيطرة القوات العراقية على « مدينة أشرف » باعتبارها جزء من التراب العراقى ولا يجوز إقامة أى جهة لا تحظى برضا الحكومة الشرعية وتهدد مصالحها مع الجارة الشرقية أقرب الحلفاء مما جعل تلك الأحداث الدموية تثير كل معاني القلق والتوجس العالمى من كارثة حقيقية تحيط بحوالى ٣٥٠٠

شخص يقيمون فى المدينة . لقد تغيرت المعادلات الدولية و الإقليمية منذ ذلك التاريخ بشكل حاد وعاصف ولكن ما لم يتغير هو مواقف العداء التاريخية المسبقة بين الطرفين ولهذا استغلت الحكومة العراقية الاتفاقية الأمنية لتضرب ضربتها النهائية فى محاولة لإنهاء الوجود الإيراني المعارض على أراضيها وسط مطالب بنقل مجاهدى خلق إلى خارج الحدود العراقية إذا وافقت أى دولة أخرى على إستضافتهم أو نقلهم إلى معسكر فى صحراء محافظة المثنى أقصى الجنوب الغربى للعراق بعيدا عن الحدود الإيرانية .

حدث هذا رغم انتقال ملف المعارضة الإيرانية و مدينة أشرف للإدارة الأمريكية الديمقراطية الجديدة برئاسة أوباما والتي كان من المتوقع أن تستخدم الملف كورقة تفاوض ثمينة مع الجانب الإيراني ورغم وقوف الإدارة الجديدة حائلا دون تنفيذ إرادة الحكومة العراقية الحليفة لإيران حتى الآن إلا أن شبح الكارثة يبدو أكثر إطلالة في هذا الملف ما لم يتم التعامل بحكمة وواقعية مع الموقف و بشكل يراعي الجوانب الإنسانية لجميع الأطراف باعتبار أن القضية برمتها قد أضحت إنسانية محضة، كما أن ملف المعارضة الإيرانية في العراق و مستقبلها هو واحد من الملفات الحساسة في الوضع العراقي لأنه يرتبط بمصالح استراتيجية و مستقبلية مهمة للغاية، وأي تسرع غير محسوب في التعامل مع ذلك الملف سيكون كارثة!..

ولعل من الجدير ذكره هنا أنه ومنذ زيارتى لمعسكر أشرف الذى يقع على بعد حوالى ٨٠ كم إلى الشرق من العاصمة بغداد عام ٢٠٠٧ كما ورد ذكره فى موضع سابق من الكتاب فإن العلاقة مع سكان المعسكر على المستوى الصحفى ظلت مستمرة وهو ما أتاح لى متابعة الأحداث التى أعقبت تسلم القوات العراقية للمعسكر أوائل العام ٢٠٠٩ عن كثب من خلال الاتصال المباشر هاتفيا أو عبر البريد الإلكتروني بقيادات المعسكر ومسئولية الإعلاميين وسوف أعرض صورة لأحد البيانات التى وصلتنى حال إعداد هذا الكتاب .

رسالة ٥٣ من مجاهدي خلق في « أشرف » إلى الأمم المتحدة حول تعرضهم للتعذيب النفسي من قبل عملاء الاطلاعات الإيراني

ُذ: ّفقوهملفظوُ@نفوّف–ى.هً

ُمس: ◻فلّمَلمط، ◻فحـ ٠٥، ٢٠١٠ ٢٦:٢٤:٣ حذ

ُث: ◻ّفَىوّ٠ ٧@ّىفُو.ُك

٥٣ من أعضاء مجاهدي خلق في« أشرف »ممن أصبحوا منذ ثلاثة أشهر عرضة

لشتى حملات الأكاذيب والتخرصات والتعذيب النفسي من قبل اطلاعات حكام إيران السيئة الصيت تحت غطاء ما يسمى بالعوائل، بعثوا مرة أخرى برسائل منفصلة وكذلك رسالة جماعية إلى المسؤولين في الامم المتحدة بينهم المسؤول عن شؤون حقوق الانسان ومدير مكتب يونامي في العراق معلنين أنهم وتحدياً لمهزلة وحملات الابتزاز التي يمارسها عناصر نظام الملالي العميلة في مدخل أشرف وتحدياً لبث المعلومات المضللة والكاذبة التي تهدف إلى تهيئة المناخ لحملات القمع والإبادة الوحشية ضد سكان أشرف ومواصلة الحصار اللاانساني، إنهم لم ولن يلتقوا بأي عميل لمخابرات الملالي وقوة القدس الإرهابية بأي شكل و تحت اي مسمى كان سواء كان غطاؤه عائليا أو غيرعائلي.

وأكد المجاهدون الأشرفيون أن الاساليب التي يعتمدها نظام الملالي ومخابراته القذرة لتجنيد أفراد بعض من العوائل من قريب أو بعيد للتخابر على سكان أشرف، تم استنساخها من المخططات الفاشية المستخدمة في الحرب العالمية الثانية والإعلام الغوبلزي المقزز وتم تخصيبها. الغاية من هذه الألاعيب العفنة هو التغطية على دماء المجاهدين الأشرفيين المراقة في يومي ٢٨ و٢٩ تموز الماضي وتبرير الحصار والجريمة الكبرى ضد الانسانية التي لا يقبلها أي ضمير إنساني يكره الاستسلام والخنوع.

وفيما يلي فقرات أخرى من رسالة هؤلاء المقيمين في أشرف وأسماء الموقعين للتفضل بالإطلاع والنشر .

مع فائق الاحترام

مع الود-محمد اقبال-مجاهدي خلق الإيرانية

... ففي تموز الماضي شن الجيش العراقي وبطلب من النظام الايراني هجوماً وحشياً على سكان أشرف مما أدى إلى سقوط ١١ شهيداً و٥٠٠ جريح و أكثر من ألف مضروب ومكدوم. والآن رأس خيط القضايا يمسكها الولي الفقيه المهزوز الحاكم في طهران والحرسي كاظمي قمي أحد قادة قوة القدس الإرهابية التي يعمل كسفير للنظام في بغداد.

وكشفت أمانة المجلس الوطني للمقاومة الإيرانية أنه وبأمر من خامنئي ، شكلت وزارة المخابرات سيئة الصيت لجنة خاصة لممارسة القمع والتعذيب النفسي بحق سكان أشرف حيث تقوم وعبر فروعها في الأقضية وتأسيس جمعية يسميها المواطنون «جمعية النجاسة» بتجنيد عملاء من المرتبطين بالمجاهدين نسبياً وذلك بهدف تبرير الجرائم اللاانسانية المتواصلة ضد الأشرفيين منذ ١٦ شهراً وللحيلولة

دون العلاقات الاجتماعية بين المواطنين العراقيين مع المجاهدين في خضم الانتخابات العراقية.

ان الممثل الخاص للجنة قمع أشرف في مخابرات الملالي في طهران هو جلاد يدعى حاج علي وهو الآن مقيم في اللجنة العملياتية للنظام في السفارة الإيرانية في بغداد. إن العناصر المجندة يتم نقلهم مباشرة جواً من طهران أو من المحافظات إلى بغداد وفي كل رحلة أو في كل مجموعة هناك مسؤول من وزارة المخابرات تحت عنوان جمعية النجاة مكلف بادارة وترتيب شؤون المجموعة المبعوثة من قبل الوزارة السيئة الصيت.

إن لجنة قمع « أشرف » بطهران تضغط على سفارة النظام في بغداد وتحاسبها بأنها ومنذ كانون الثاني كانت حصيلة عملها قليلة جداً بالمقارنة مع التكاليف المصروفة حيث سلمت السفارة لحد الآن عنصرين تائبين من الحرب الثماني السنوات فقط وليس من المعلوم ما ربطهما بنشاطات العوائل المرسلة أمام مخيم أشرف.

وأكد المجاهدون اللأشرفيون الـ ٥٣ في رسالتهم إلى مدير مكتب يونامي ببغداد: نحن كأفراد استخدم ذوونا في هذه الحرب كأداة سياسية لقمع أشرف علمنا أن اطلاعات حكام إيران وعبر موقع في الانترنت تم تأسيسه ويدار من قبل عنصرين للمخابرات شوهدا في معتقل أوين للتعذيب ، وهما العميل مسعود خدابنده وزوجته البريطانية العميلة أن سنغلتون نسبت أقوال إليكم كذبتها يونامي خلال اتصال هاتفي للجنة الشؤون الخارجية للمجلس الوطني للمقاومة الإيرانية. نحن سكان « أشرف » نعيش الآن أشد حالات الحصار والحرب النفسية القذرة وحالات التهديد التي شوهدت مثلها فقط في الحرب العالمية الثانية من قبل الفاشية الهتلرية وفي الاعلام الغوبلزي. نرجو منكم أن تزوروا أشرف على عجالة لتروا الموقف عن كثب مثلما يراه ممثلو يونامي عن قرب. إننا ومنذ ١٦ شهراً وفي الوقت الذي لم يسمح لأي فرد من عوائل الاشرفيين أينما كان في العالم بزيارة أي فرد من الاشرفيين خارج الرحلات التي تنظمها مخابرات الملالي، وفي الوقت الذي نحن فيه محرومون من اللقاء بمحامينا والمراسلين والبرلمانيين خلافاً لجميع القوانين الدولية وفي الوقت الذي يتم فيه اعتقال افراد تلك العوائل التي زارت أشرف في السنوات السابقة بعيداً عن رحلات المخابرات ، ويتم تعذيبهم ، وإصدار الحكم عليهم بالسجن لمدد طويلة، بدأ الآن الولي الفقيه للنظام الرجعي وعناصره العميلة من العراقيين الاصرار على لقائنا مع المجندين الذين جاؤوا تحت مسمى العوائل ، وذلك شريطة أن يتم اللقاء خارج أشرف وداخل الفوج العسكري العراقي

ويتم اللقاء تحت السلاح. وهذا يعني الابتزاز وكتم الافواه للتوبة والندامة أمام الجلادين الحاكمين في إيران ولا ينبغي لنا فعل ذلك إطلاقاً. لذلك نرجو إنصافكم بحقنا ونؤكد مرة أخرى أننا لم ولن نلتقي بأي عميل لوزارة المخابرات وقوة القدس الإرهابية تحت أي غطاء كان سواء عائلياً أو غير عائلي.

إننا نطالب باللقاء معكم في أشرف باعتباركم جهة دولية محايدة ونتطلع إلى عنايتكم بطلبنا هذا. وقد سبق لنا أن قدمنا طلبنا في رسائل عديدة إلى مؤسسات دولية مختلفة وخاصة « يونامي » وهو اللقاء مع ممثلي الأمم المتحدة ولكن لم يتسن ذلك لحد يومنا هذا أي ٢٧ من نيسان الجاري.

حسن عارف- محمد رضا قديمي- محمد كريمي-محمد رضا راكي پور- مقصود محمد زاده- امير اصلان حسن زاده- غلام ساجدي فر-محمد فرجي - شهاب فروزنده-سيد رضا تارا- سلمان دولت بناه- محسن حسن كاويار- خليل بزرگ‌مهر- ميرمحسن مرتضوي- اسماعيل حسين زاده- محمود سعادت- سميع ناظري- محمدرضا حسين - امين عبدلي- محمد رضا آغاسي- ابراهيم محمديان —محمدرضا صديق- جعفر بابايي نژاد- بهمن عتيقي- طوبى بوزروجمهر- حسين شجاعي- نادر كشميري- فريدون زارع- عيسي أكبر زاده- حيدر بيرزادي- رحيم چارلنك- علي هاجري- مهدي حميدفر- ايرج رمضاني- عبدالرضا واديان- بخشعلي عليزاده- علي يوسفي- محمد حمادي- زهرا فنودي - نسرين علافبور- راضيه خبازان- سميه محمدي- معصومه أولادي- علي‌رضا زيبايي- علي‌رضا رحماني- حسن رهنما- حسين عيني- برات ربيعي- مهري سعادت- ناهيد سعادت- امير مزرعة - اشرف آوري- خرم رمضاني

مؤامرات جديدة يحيكها النظام الإيراني ضد « أشرف» /محاكمة عوائل سكان مخيم أشرف

تحية طيبة

فيما يلي البيان الصادر عن أمانة المجلس الوطني للمقاومة الإيرانية حول مؤامرات جديدة يحيكها النظام الإيراني ضد أشرف ومحاكمة عوائل سكان المخيم. للتفضل بالإطلاع والنشر .

مع الود

مؤامرات جديدة يحيكها النظام الإيراني ضد أشرف/محاكمة عوائل سكان مخيم أشرف

أصدرت أمانة المجلس الوطني للمقاومة الإيرانية بياناً جاء فيه: "تفيد التقارير الواردة من داخل النظام الإيراني أنه وتزامناً مع تواجد عملاء مخابرات النظام في مدخل مخيم أشرف تنوي قوة «القدس» الإرهابية ووزارة المخابرات وبالتعاون مع الحكومة العراقية وكذلك بتوظيف عملائهما وعناصرهما العراقيين أن تدبرا مزيداً من المؤامرات والمخططات ضد مجاهدي أشرف. وفيما يلي بعض من هذه المؤامرات والمخططات:

١- أن قوة «القدس» الإرهابية قد كلفت المدعو «صادق جعفر الحسيني» أحد قادة فيلق ٩ بدر ونائب رئيس فرع المجلس الأعلى في ديالى وهو نائب رئيس مجلس محافظة ديالى أيضاً بتنسيق نشاطات عملاء النظام الإيراني العراقيين في ديالى ضد مخيم أشرف. أن عم وصهر صادق جعفر وهما أبو علي الزهيري نائب وزيرة حقوق الإنسان وعلي الحسيني و كلاهما من أفراد فيلق بدر ومجلس الأعلى يعاونانه ويساعدانه في هذا المجال ميدانياً. وكان علي الحسيني يقيم في إيران لأمد طويل وقد عاد مؤخراً من إيران إلى محافظة ديالى.

٢- طبقاً لخطة قوة «القدس» من المقرر أن يؤسس أبو علي الزهيري مركزاً في قضاء الخالص تحت عنوان «مركز حقوق الإنسان» يهدف أساساً إلى تنظيم نشاطات العملاء ضد أشرف.

٣- «اختطاف أحد قادة أشرف» والاستغلال الدعائي لذلك «وخلق حالة من انعدام الثقة في صفوف مجاهدي خلق لفصل قادتهم من الأفراد الآخرين في أشرف».

٤- نشر أكاذيب ومنها أن اثنين من المجاهدين الـ ٣٦ الذين كانوا قد اختطفوا كرهائن خلال الهجوم على أشرف في يومي ٢٨ و٢٩ تموز (يوليو) الماضي قد هربا من أشرف وهما حالياً لدى الحكومة العراقية وسيتم تسليمهما لعائلتيهما.

٥- تقديم شكاوى من قبل عملاء وزارة المخابرات ضد المسؤولين في منظمة مجاهدي خلق الإيرانية بأن هؤلاء المسؤولين احتجزوا أبناءهم عنوة في سجن أشرف وطلب اعتقالهم بموجب قانون مكافحة الإرهاب، بالإضافة إلى تفعيل الشكاوى الكيدية ضد سكان مخيم أشرف بأنهم غصبوا أراضي الغير كون أراضي أشرف عقارات وأملاك خاصة لمالكيها العراقيين.

إن المؤامرات والممارسات القمعية ضد مجاهدي أشرف تأتي في وقت تستمر فيه حملات الاعتقال والتعذيب ومحاكمة عوائل سكان مخيم أشرف ويعيش عدد كبير من أفراد عوائلهم قيد السجن حالياً في سجون النظام. وآخر مثال على

ذلك أن السجينة السياسية السيدة مريم أكبري قد حوكمت يوم ٢٧ نيسان (أبريل) ٢٠١٠ أمام محاكم النظام الإيراني بعد مضي ٨ أشهر على اعتقالها وقال لها الجلاد الذي يطلق على نفسه «القاضي»: «إنك مدانة بالمحاربة لأن جميع أفراد عائلتك وذويك متواجدون في أشرف.. وآخرون من أفراد عائلتك كانوا منافقين [من مجاهدي خلق] وقد تم إعدامهم حتى الآن.. كما قد كتب في ملفك أنك محاربة».

أصدرت أمانة المجلس الوطني للمقاومة الإيرانية بيانا بعنوان« إجراءات قمعية واستفزازية للجنة قمع أشرف ونقل مجموعة جديدة من العملاء إلى باب المخيم .. الحرسي الاريجاني يسافر إلى كرمانشاه ومضيق «شهار زبر» للتآمر « ضد أشرف » جاء فيه:

في الوقت الذي أصبح فيه الشهر السادس من تواجد عملاء الفاشية الدينية الحاكمة في إيران في باب مخيم أشرف يوشك على الانتهاء وفي الوقت الذي تم فيه تشديد عمليات التعذيب النفسي لسكان أشرف على مدار الساعة والتي تجري بمساندة شاملة من القوات العراقية ولجنة قمع أشرف المتمركزة في ديوان رئاسة الوزراء العراقية، قام أفراد هذه اللجنة والمسؤولون فيها بتصعيد إجراءاتهم القمعية والمزعجة والاستفزازية الأخرى ضد سكان مخيم أشرف تمهيداً لخلق أجواء التوتر وتأزيم وتصعيد الموقف ومن ثم شن الهجوم على سكان المخيم وقتلهم جماعياً:

١- أفراد اللجنة ومعهم قوات عراقية يتجولون في مختلف الساعات ليلاً ونهاراً في شوارع أشرف ويتعرضون في أحيان كثيرة على سكان في المخيم يترددون بمفردهم ويهينونهم أو حتى يضربونهم ويشتمونهم ويهددونهم في بعض الحالات بالاعتقال والقتل.

٢- أحد هؤلاء الأفراد يدعى «الملازم حيدر عذاب ماشي» من ضباط الاستخبارات في الجيش العراقي ومعه عدد من الجنود العراقيين اعتدوا يوم ٢٤ تموز (يوليو) ٢٠١٠ على أحد سكان المخيم وهو «غلام حسين نيكو» بالضرب والشتائم بحيث أصيب بشدة في يده.

٣- وسبق ذلك بعدة أيام هدد حيدر عذاب شخصاً آخر من سكان مخيم أشرف وهو «محمد أفضليان» بالقتل وحاول اعتقاله واختطافه ولكنه فشل في ذلك.

٤- إنه ومع عدد من القوات العراقية يدخل في مختلف الساعات ليلاً ونهاراً مقرات عمل وإقامة سكان المخيم برغم احتجاجهم على ذلك ويهددهم بالاعتقال والقتل ويشجع سكان المخيم بكل وقاحة على الانضمام إلى النظام الإيراني، كما

يقوم وبطلب اللجنة بإعداد وإرسال تقارير كاذبة عن الموقف في أشرف.

٥- أن حيدر عذاب هو أحد ضباط الارتباط للجنة القمع مع عناصر وزارة مخابرات النظام الإيراني في باب مخيم أشرف ويقوم بتوفير التسهيلات الضرورية لهم بأمر من سفارة النظام الإيراني ولجنة القمع. وهو الذي قام يوم ٢٧ تموز (يوليو) ٢٠١٠ ولغرض تأزيم وتصعيد الموقف بدفع هؤلاء العملاء إلى داخل مخيم أشرف ونشرهم في ساحة «سين» في المخيم، ولكن إثر احتجاج سكان المخيم على ذلك اضطرت القوات العراقية إلى سحبهم.

٦- وفي الوقت نفسه وخلال يومي الأربعاء والخميس ٢٨ و٢٩ تموز (يوليو) ٢٠١٠ نقلت مخابرات الملالي الحاكمين في إيران وللمرة الثانية عدداً من عملائها إلى العراق ليتمركزوا في مدخل مخيم أشرف. أن الفاشية الدينية الحاكمة في إيران وإثر فشلها في تجنيد وتوظيف عوائل سكان أشرف قد اضطرت إلى جعل حفنة من عناصر المخابرات وقوة «قدس» الإرهابية يتناقلون بالتناوب بين أشرف وإيران.

إن هذه التحركات القمعية والمزعجة تأتي في وقت سافر فيه الحرسي علي لاريجاني رئيس برلمان النظام الإيراني يوم الثلاثاء ٢٧ تموز (يوليو) ٢٠١٠ إلى مدينة كرمانشاه (غربي إيران) ومضيق «شهار زير» غربي المدينة المذكورة بهدف تكثيف المؤامرات والإجراءات ضد أعضاء منظمة مجاهدي خلق الإيرانية في مخيم أشرف.

إن نظام الملالي الحاكم في إيران وإثر إصابته بخيبة أمل تامة وغيظ شديد من نتائج الانتخابات العراقية والإقبال العام في العراق على البديل الوطني وإثر فشله في إيصال عملائه في العراق إلى السلطة، يحاول استغلال الظروف السياسية الهشة وغير المحسومة السائدة حالياً في العراق لفرض مزيد من الضغوط والمضايقات والضربات على سكان مخيم أشرف طالما تكون حكومة المالكي قائمة على السلطة في العراق.

إن المقاومة الإيرانية تلفت انتباه الإدارة الأمريكية والقوات الأمريكية في العراق والأمين العام للأمم المتحدة وممثله الخاص في العراق إلى المحاور المذكورة أعلاه وتطالب بعودة القوات الأمريكية إلى داخل أشرف وضمان حماية سكان المخيم من قبل هذه القوات وتمركز فريق مراقبة تابع ليونامي في أشرف والتزام جميع الجهات بحقوقهم باعتبارهم محميين بموجب اتفاقية جنيف الرابعة وذلك لتفادي وقوع كارثة إنسانية جديدة.

وفي المرفق المادة نفسها للتفضل بالاطلاع والنشر

محمد إقبال-مجاهدي خلق الإيرانية-أشرف

يجرى هذا دون أن تحرك الولايات المتحدة صاحبة السلطة الحقيقية بالعراق

ساكنا تاركة عناصر مجاهدى خلق يواجهون مصيرهم دون أى حماية .. فيما أوصت دراسة أعدها المعهد الوطنى لبحوث الدفاع الوطنى الأمريكى أجراها ايرميا غولكا وليديا هانسيل واليزابيث ويلكه وجوديث لاسون تحت رعاية مكتب وزير الدفاع الأمريكى فى نوفمبر عام ٢٠٠٩ بأن يشجع المسئوولون الامريكيون حكومة العراق لتامين التخلص الجغرافى من مجاهدى خلق بالاسلوب الذى يلبى المعايير الدولية ومعايير حقوق الانسان وهو ما تريده ايران التى يبقى هاجسها الأكبر بقاء تلك المجموعة منزوعة السلاح على حدودها مع العراق حيث تحاذى محافظة ديالى حدود إيران الغربية .

٢ - أمريكا

ما يحصل في العراق منذ اجتياحه عام ٢٠٠٣ يتطلب قراءة لا تقلل من أهمية ترابط الجرائم وتوقيتها التسلسلي ووظائفها وما أدت إليه في النهاية من محصلة عامة تؤشر إلى انقسامات مذهبية تأسست بداية على مبدأ الجريمة وقتل الأبرياء وتخويف الناس وإرهابهم وإجبارهم للنزوح ومغادرة مناطقهم إلى مواطن متجانسة طائفياً أو عرقياً أو قومياً.

وبهذا المعنى الميداني تبدو الجرائم المتتابعة حلقات متواصلة في سلسلة دموية منظمة تستهدف تحطيم وحدة العراق وإلغاء هويته ودوره وموقعه ومنعه من العودة إلى محيطه العربى واستعادة قوته السياسية والاقتصادية مستندا إلى إمكانياته الإقتصادية والبشرية الهائلة والرصيد التاريخى كدولة حضارية ذات تاريخ ضارب فى القدم مثلت مسلة حمورابى فيها حجر الزاوية لأول قانون عرفته البشرية ومثلت الكتابة المسمارية واحدة من أنضج الحضارات التى ابتكرت الكتابة والعلم .

تشكلت هذه الغاية في ضوء تفاعلات استراتيجية الاحتلال منذ اليوم الذي دخل فيه الجيش الأميركي بغداد فى ٩ ابريل عام ٢٠٠٣ الذى أصبح يوما للإستقلال يحتفل به بعض العراقيين على الأقل رسميا حتى أنه جرى تغيير أحد الأحياء شرقى بغداد من « ٧ نيسان» وهو يوم تاريخى لحزب البعث الذى حكم العراق برئاسة صدام حسين إلى « ٩ نيسان» وهو يوم دخول القوات الأمريكية قلب بغداد وما شهده من أعمال نهب للمتاحف والمكتبات والجامعات وحرق للمؤسسات والوثائق ومطاردة للعلماء والأساتذة والأطباء ، وكل العاملين في حقول الهندسة والبناء، لا يمكن عزلها عن تلك الوقائع اليومية التي عصفت بالعراق وأدت إلى تقويضه وتحطيمه وشرذمته إلى دويلات طوائف ومذاهب.

وهذه الغاية التي خطط لها الاحتلال لا تكترث كثيراً للأبرياء والمصلين والآمنين والمدنيين، ولا تهتم كثيراً بالجهة التي تقترفها والقوى المتضررة منها مادامت تؤدي الجرائم وظيفتها المحددة .. فالغاية الأميركية كانت ولا تزال ليس نشر «الديمقراطية» وفضائل «الليبرالية» وتداول السلطة سلمياً وإنما هي تقويض الدولة وتفكيك البلاد وفرز الطوائف والمذاهب وتوزيعها قهراً على كانتونات (وحدات ذاتية) تتزاحم على احتلال المواقع والمناصب والمغانم وهو ما بدا جليا خلال السنوات التي تلت الاحتلال حتى فى ظل أنضج تجربة كان يمكن أن يشار اليها بالبنان وهى تجربة الانتخابات النيابية التى جرت فى السابع من مارس عام ٢٠١٠ والتى قهر العراقيون فيها مخاوفهم وخرجوا جماعات وأفرادا فى كافة مناطق البلاد ليصوتوا للمشروع الوطنى بعيدا عن الاصطفافات الطائفية والتخندقات المذهبية إلا أن ما أفرزته النتائج بعد ذلك من عدم تقدم أى كتلة سياسية بأغلبية مريحة جعل الأمور تراوح مكانها ؛ لتنقلب الديمقراطية ، ترتد النشوة لتستحيل كابوسا قاتما فى صراع محموم على السلطة والأحقية فى تولى مقعد رئاسة الحكومة وما يعنيه من توزيعات فى المناصب الأخرى وزاريا وإداريا لعدة أشهر وهو ما أدى إلى انتشار جرائم القتل التى تتسم بالكراهية والعبثية وعدم الاكتراث للضحية مرة أخرى بعد أن هدأت قليلا أملا فى الخروج من النفق المظلم الذى كرسته الحقبة الطائفية فى زمن المذبحة والتى بات من الصعب تفسيرها أو تحليلها أو ضبط الجهة التي تقف وراء تشجيعها وتمويلها وتسهيلها، لأنها ببساطة عدمية في منطقها السياسي وهي في مجموعها تؤكد أن الاحتلال هو الطرف المباشر المسئول معنوياً وأخلاقياً ودولياً عن كل الكوارث التي أفرزها زمن المذبحة .

وكما يؤكد مراقبون محايدون أن ادعاء واشنطن عدم علمها بالجهات المنفذة للعنف لا يرفع عنها المسئولية ولا يضعها في خانة الطفل البريء، لأن المواثيق والمعاهدات الدولية واضحة في فقراتها فهي تشير دائماً إلى المحتل بصفته القوة التي فتحت الباب لمرور المجرم والجرائم.

فالاحتلال الأمريكي هو المايسترو الذي يتحكم بخيوط اللعبة ويوزع الأدوار من دون اكتراث للفاعل أو المفعول به وما يحصل في بغداد وباقى المناطق العراقية لا يمكن عزله عن مظلة الاحتلال وتشعباتها وامتداداتها الأخطبوطية وما تمثله من مواقف سياسية غامضة تتقصد إضعاف هذا الطرف وتقوية ذاك ثم تقوية الضعيف وإضعاف القوي ثم خلط الأوراق وبعدها فرزها وإعادة فرز الصناديق ثم

توزيعها في لعبة موت عبثية لا منطق لها حتى تصبح كل الأطياف في حال استنفار وتوتر وخوف... وأخيراً الاستعداد للانتحار الذاتي والجماعي.

وقد اعتبر معهد شبكة العلاقات الدولية والأمن الذي يتخذ من زيورخ مقرا له في تقرير تحت عنوان «بغداد مقسمة»، للباحث كلوديو جولر أن الحرب الأهلية العراقية، كانت قبل كل شيء، تدور بسبب تغير السلطة في البلاد التي نشب فيها العنف بعد الغزو، والخرائط التي أعدها الباحث مايكل ايزادي لدى معهد جامعة كولومبيا للشؤون الدولية والعامة، اعتبر أن الطائفية التي نشأت في بغداد في فترة ما بعد الغزو، تؤكد هذا التغيير الجوهري.

وذكر التقرير أن المجموعات الخمس من الخرائط، والتي حملت عنوان «الجماعات الاثنية في بغداد»، تظهر التطهير الطائفي الكلي، والعزل المذهبي الذي شهدته بغداد خلال العامين ٢٠٠٦ و٢٠٠٧.

وأشار التقرير إلى أن العملية العسكرية الأمريكية في بغداد التي أعلن عنها الرئيس الأمريكي السابق جورج بوش الابن تحت اسم «الطريق الجديد إلى الأمام» في العاشر من شهر كانون الثاني/يناير العام ٢٠٠٧، تضمنت ثلاثة عناصر، أولها إصلاح التكتيكات العسكرية التي أجراها القادة الأمريكيون الميدانيون، بالتركيز على حماية السكان المدنيين، واعتماد خطة «طهّر ثم حافظ على الموقع ثم ابني» بدلا عن استراتيجية «طهّر» البدائية لمكافحة التمرد.

إما العنصر الثاني فكان احتضان العملية الأمريكية، بنجاح، لحركات الصحوة السنية [1]، فيما كان العنصر الثالث إرسال الجزء الأكبر من الجنود الإضافيين الذي وصل عدده إلى ٢٨ ألفا، إلى مدينة بغداد.

واعتبر التقرير أن العنصرين الأوليين ساعدا على ضبط إراقة الدماء، أما الثالث، فلعب دوراً هامشياً في إخماد البؤر الملتهبة، مشيرا إلى أن تحالف «الصحوات» بقيادة الشيخ عبد الستار أبو ريشه والذي انطلق في العام ٢٠٠٦ وكسب زخماً كبيراً غير عادى، بعد أن لعب دوراً أساسيا في إنهاء تواجد تنظيم القاعدة أو على الأقل تقليص نفوذه بنسبة تصل إلى ٩٠ فى المائة وكذلك إنهاء تواجد الميليشيات فى معظم المناطق ومن ثم تقليص فرص تطور الحرب الأهلية

(١) حركات الصحوة هي مجموعة مسلحة تشكلت من رجال العشائر السنية في المناطق التي كان يسيطر عليها تنظيم القاعدة وتمكنت بدعم أمريكي من هزيمة عناصر القاعدة وفرض الأمن في مناطقها إلا أنها تحولت إلى عبئ لا تستطيع الحكومة العراقية تحمله بسهوله .

العراقية التى انطلقت على أساس طائفى بعد دعوة زعيم تنظيم القاعدة فى بلاد الرافدين أبو مصعب الزرقاوى إلى قتل الشيعة « الروافض» .

وأشار إلى أنه مع انقضاء العام ٢٠٠٦ والدخول في العام ٢٠٠٧، احتضنت الولايات المتحدة «الصحوات» ووضعتهم على قائمة رواتب «العم سام»، وشجعت العشائر على التوقف عن إيواء القاعدة، كما حثتهم على تقليص استعمالهم للقوة.

وأضاف أن الخطة نجحت، وانه مع بلوغ شهر أيار/مايو ٢٠٠٧، كانت العشائر قد طردت معظم أفراد القاعدة، وحدت من عملياتهم القتالية، ما أدى إلى تراجع أعمال العنف.

واعتبر التقرير أن «مخاوف السنة من انتقام وهيمنة شيعية وشيكة» تقدم التفسير الصحيح لهذا التحول.

وبعدما اشار إلى أن بغداد كانت قبل الغزو، أكثر المناطق العراقية تنوعا اثنيا، أوضح أن ٨٠ في المائة من العنف في العراق ضرب العاصمة بغداد والمناطق المحيطة بها.

وبحسب التقرير، فان خرائط الدكتور إيزادي التي أعدت ميدانيا، أظهرت أنه منذ بداية العام ٢٠٠٦ إلى منتصف العام ٢٠٠٧، حيث مثل تفجير مقام الإمام العسكري في سامراء في شهر شباط/فبراير العام ٢٠٠٦ بداية الحرب الأهلية العراقية، طهر جيش المهدي وسائر المجموعات الشيعية المسلحة بغداد من السنة، عازلين من تبقى في معاقل سنية في الجزء الغربي من المدينة.

وقال إيزادي أنه «استناداً إلى عدد الجثث في بغداد، كان عدد القتلى السنة ثلاثة أضعاف عدد القتلى الشيعة»، مضيفا انه «بقي في بغداد التي كانت خلال الأربعينات مدينة سنية أساساً، مئات آلاف قليلة من المواطنين السنة في نهاية العام ٢٠٠٨، من أصل ٥ ملايين مواطن».

واعتبر «بالرغم من أن هذا مؤسف، لو لم يحصل قتل الشيعة الهائل للسنة، كما عملية التطهير الاثني والطائفي الشاملة، لما كانت اتضحت آفاق الصحوة السنية، ولما كان انتابهم شعور بالتدمير الوشيك وبإخضاع الشيعة لهم».

ورأى أن «العملية العسكرية الأمريكية كانت بمثابة إشارة نفسية بأن الولايات المتحدة قد تغادر وتترك السنة يتفقون مع الشيعة، بمفردهم. ومنذ العام ٢٠٠٣ حين نظر السنة إلى الولايات المتحدة وإلى قوات التحالف على أنهم أعداء يجب إخراجهم من العراق، وصولاً إلى العام ٢٠٠٧ حيث كان يُنظر إلى الأمريكيين كقوة وحيدة تفصل بينهم وبين ملايين الشيعة المنتقمين، حدث انقلاب تام في الموقف السني».

وذكر التقرير انه حين أعلن «جيش المهدي»، في شهر آب/أغسطس من العام

٢٠٠٧، وقفاً لإطلاق النار من طرف واحد، وهو قرار كان نتيجة دوافع متشعبة، ومن ضمنها ازدياد الضغط العسكري الأميركي، إلا أن التطهير الطائفي وما يترتب على ذلك من تغيير في ميزان القوى، كان قد اكتمل.

وخلص إلى القول انه مع حلول شهر أيلول/سبتمبر العام ٢٠٠٧، انتهت الحرب الأهلية العراقية، وانسحبت القوات الأميركية من المدن في الثلاثين من شهر حزيران/ يونيو ٢٠٠٩، لكن بغداد بقيت منقسمة.

وتساءل التقرير عما إذا كانت الحرب الأهلية في العامين ٢٠٠٦ و ٢٠٠٧ قد هيأت أرضية لديكتاتورية جديدة، هي ديكتاتورية الأغلبية، حيث ينقل عن ايزادي قوله أن «الكرد آمنون في جبالهم، ومستقلون منذ العام ١٩٩١، أما الشيعة فلهم منطقتهم مع قوتهم الجديدة، ويبقى السنة الذين يحتمل أن تكون أعدادهم تضاءلت ليمثلوا ١٢ في المائة من السكان العراقيين فقط (بعد هجرتهم الضخمة إلى سوريا والأردن)».

ولعل من الصعوبة بمكان الحديث عن أمريكا واحدة بالعراق فالإدارة الأمريكية على ما يبدو مقسمة بين أمريكا الرسمية التى تعلن عن خططها لنشر الديمقراطية فى الشرق الأوسط انطلاقا من العراق وأن ما تقوم به بلاد الرافدين يؤتى ثماره وينتج تحولات رائعة فى النمط المعيشى والفكرى .. بينما تظهر أمريكا أخرى ممثلة فى أجهزة المخابرات وشركات الأمن الخاص « المرتزقة الجدد» وتجار السلاح والمقاولون النهمون لالتهام الكعكة العراقية كاملة وغير ذلك من أصحاب المصالح الذين تظهرآثار أياديهم بقوة فى إدارة المذبحة العراقية .

كما أن ما حدث كان نتيجة أخطاء ساعدت على اتساع المذبحة ربما يعود جزء كبير منه إلى تعدد مراكز القرار ولجوء بعض صغار الضباط والمسئولين إلى اتخاذ قرارات فردية يرونها ضرورية فى أوقات حاسمة بدافع الخوف واستباقا لنتائج قد تكون سيئة إذا ما تم اتخاذ القرارات الخاصة بها ضمن سياق المرجعيات الإدارية والعسكرية .

• المرتزقة

يقول «بيتر سينجر» من معهد بروكينجز: أن المقاولين الخاصين كانوا يشكلون ثاني اكبر قوة عسكرية في العراق بعد القوه العسكرية الأمريكية، وانه تم استئجارهم بواسطة الحكومة في عدد من المهام المخصصة للعسكريين النظاميين، ومنها تامين الشخصيات، وفرض اتفاقيات السلام، وتدريب عناصر الشرطة والجيش في دول العالم الثالث، ويرجح تفضيل استخدام المرتزقة في الأساس لما يتمتعون به من خبرات قتاليه سابقه، حيث تقوم الشركات الكبرى الرائدة في هذا

المجال بنشر إعلانات احتياج حول العالم، مستخدمة كافة الوسائل الدعائية ومنها الانترنيت واضعة شروط وجود خبرة قتال لتقل عن خمسة سنوات، وتلاقي هذه الوظائف إقبال في عدد من الدول لارتفاع معدل الراتب المالي وبالتأكيد أن لا يشكل مقتل أي مرتزق عبئا على عكس الخسائر والقتلى في صفوف القوات النظامية على سبيل المثال عند قتل عدد من الجنود الأمريكان النظاميين في الصومال ١٩٩٣خلال عملية «توفير الراحة» تحول الأمر إلى ثورة من الغضب لدى الأمريكيين مما أدى إلى اتخاذ قرار سياسي من الرئيس الأمريكي «كلينتون» بإلغاء المهمة بالكامل وإعادة الجنود إلى وطنهم على العكس من ذلك فإن أعمال القتل المستمرة بين المرتزقة الأمريكيين العاملين في حرب ضد عصابات المافيا وعصابات المخدرات لم تثر غضبا ولا ثورة في أمريكا واستمرت دون توقف.

وتشير التقارير إلى أن استخدام المرتزقة في السابق كان سرا إلا انه اليوم أصبح علنيا وتحت اسم متعهدين عسكريين خاصين يمارسون في الغالب معظم المهام الضرورية التي تمارسها الجيوش النظامية في ساحات الحروب، ولكن بادوار خفية وبمهام قذرة وبخسائر لا تحسب على الجهد العسكري العام، مما يصرف الأنظار عن حجم الخسائر الحقيقية في ساحة المعركة ومقدار الفشل العسكري والسياسي لحكومات هذه الدول .

• بلاك ووتر

شركة «بلاك ووتر» الشهيرة بحوادث القتل الإرهابي للمدنيين العراقيين هي شركة كبيرة لتجنيد المرتزقة من أي مكان ولأي مكان في العالم، ولها تاريخ اسود في الجرائم ضد البشرية في زيمبابوي - ساحل العاج - السودان - أفغانستان - العراق وتم بالفعل التوجه لتجنيد العراقيين للعمل كمرتزقة وبرواتب اقل بكثير من الأجانب وبمسميات وواجهات مختلفة، والتي لا تطالها منظمات حقوق الإنسان والقانون الدولي لأنها فوق القانون الدولي، ويتقاضى الفرد فيها راتبا يصل إلى عشرات الآلاف من الدولارات سنويا مقابل خدماته ، وبالأسلوب التجاري المخادع الذي يمارسه السياسيون الأمريكيون لتضليل الناس عن حقيقة هذه المرتزقة فإنهم يطلقون على هذه الشركات، شركات إدارة المخاطر وهو يجعلها تشبه الشركة التي مارست تجنيد المرتزقة في الثمانينات في أفريقيا والتي اتهمت بجرائم التمييز العنصري الفظيعة ، كما أن الأربعة المدنيين الأمريكيين الذين قتلتهم عناصر المقاومة العراقية في الفلوجة، لم يكونوا كما زعمت إدارة بوش متعهدين مدنيين ،

ولكن كانوا في الحقيقة خبراء ومدراء من شركة بلاك ووتر للاستشارات الأمنية العاملة في العراق، وكانوا أعضاء سابقين في قوات الأمن أبان الحكم العنصري بجنوب أفريقيا وان احدهم كان قد اعترف بجرائمه عندما قدم طلبا للعفو عنه إلى «لجنة الحقيقة والمصالحة» في جنوب أفريقيا، وتبدو كرد فعل شعبي لجرائم الاستجواب والتعذيب للمعتقلين العراقيين على أيادي العناصر الذين جندتهم شركة «بلاك ووتر» واستخدمتهم في استجواب وتعذيب المعتقلين العراقيين وكونهم مخضرمون في ارتكاب هذه الجرائم وعدد ليس بالقليل منهم صهاينة، وذكر الحاج علي القيسي منسق «جمعية ضحايا سجون الاحتلال» الذي تم تعذيبه بشكل وحشي أن المحققين الذين كانوا يحققون معه جميعهم صهاينة ومارسوا معه شتى أنواع التعذيب النفسي والجسدي وهم أخبروه بأنهم صهاينة.

تدير شركة «بلاك ووتر» منشأة تدريب المرتزقة لتنفيذ المهام الأمنية وتقع على مساحة ٢٤٠٠هكتار مربع في مدينة «مويوك» شمال ولاية «كارولينا» ، ومن بين المرتزقة الذين يعملون في العراق يوجد حوالي أكثر من مئة من عناصر «الكوماندوز» عملوا في ثمانينيات القرن الماضي لحساب رئيس «شيلي» (اوجوستو بينوشيه) بالإضافة إلى أعداد كثيرة تقدر بحوالي عشرين ألف إلى ثلاثين ألف مرتزق معظمهم متورطون في ارتكاب جرائم ضد الإنسانية ، كما إزدهر سوق تجنيد المرتزقة منذ تولت إدارة بوش الابن السلطة في الولايات المتحدة ،ليس فقط بسبب خصخصة الجيش والحروب التي تبناها نائب الرئيس الأمريكي « ديك تشيني» ووزير الدفاع « دونالد رامسفيلد» . وإن تورط الولايات المتحدة في حربين إقليميتين في العراق وأفغانستان في اقل من ثلاث سنوات دليل واضح لحجم الفائدة المادية التي تجنيها هذه الشركات وفق استراتيجية خصخصة الحروب ، ولم يكن غريبا أن تزداد أرباح شركة «بلاك ووتر» منذ عام ٢٠٠١ الذي شنت أمريكا الحرب ضد أفغانستان بنسبة٣٠٠٪ ففي أكتوبر ٢٠٠٣ابرمت «بلاك ووتر» عقدا قيمته٧،٣٥مليون دولار للقيام بتدريب عشرة آلاف من المارينز السابق من فرجينيا وتكساس وكاليفورنيا كل عام على فنون حرب العصابات ، يطلق عليها المسؤولون في شركة بلاك ووتر تسمية عملية التدريب هذه «حماية القوات» وقد مارس المرتزقة العاملون في العراق أعمالهم الإجرامية روتينيا بما يخالف القوانين الدولية، والقوانين العسكرية الأمريكية التي تنظم وتحكم «قواعد الاشتباك والسلوك» أثناء الحرب وفيما بعد الحرب في المناطق المحتلة، حيث استخدم المرتزقة استخدموا طلقات لها خاصية الاختراق النسبي للدروع ضد الأفراد» ، وهذه الطلقات تم خطر

استخدامها بواسطة الجيش الأمريكي لما تحدثه من معاناة وعذاب ودمار لمن يصابون بها نتيجة تفتيت الأعضاء الداخلية من أجسادهم وقد أثار هذا النوع من الذخائر المحرمة جدلا واسعا في الأوساط الأمريكية المعنية ، ولان هذه الذخائر المحرمة إذا وقعت بأيادي المرتزقة الذين كانوا في السابق يعملون في فرق القوات الخاصة الأمريكية، واستخدموها بعد ذلك فعلا عندما أصبحوا مرتزقة فإنهم يعرضون أنفسهم بذلك للمحاكمة العسكرية لأنهم يعلمون أن هذه الذخيرة المحرمة، لم يصادق الجيش الأمريكي على استخدامها لمخالفتها المعايير القياسية المعمول بها .

تفجرت فضيحة أبي غريب وكشف النقاب عن أن المرتزقة الذين استأجرهم «البنتاجون» عبر شركات الخدمة العسكرية الخاصة قد شاركوا في استجواب وتعذيب المعتقلين العراقيين لانتزاع الاعترافات منهم بالقوة، وهذا الاختيار من البنتاجون يشير إلى خلل حقيقي في نضوج مقومات المؤسسة العسكرية الأمريكية ومهنيتها واكتفائها الذاتي، وخصوصا في مثل هذه المهام الحساسة والناتج من الافتقار للعناصر العسكرية النظامية لتقوم بمثل هذه المهام ، ويقول : «جاري سوليز » خبير جرائم الحرب في جامعة «جورج تاون» لقد تم الآن إلغاء الكثير من الوظائف الحساسة في الجيش، لدرجة أنهم عندما يحتاجون إلى متخصصين مدربين في بعض التخصصات العسكرية الحرجة لا يجدونها، وان معظم الباقين في القوات الأمريكية أصبحوا أفراد الجيش العاديين(جاذبي زناد البندقية-) مما يدفع قيادات الجيش إلى الاعتماد على المتعاقدين المتخصصين من رجال الجيش سابقا والمرتزقة حاليا،والمرتزق الذي يستأجره البنتاجون يدفع له ثلاثة أضعاف مرتب الجندي الأمريكي النظامي، الذي من المفروض يدين بالولاء القومي الوطني العسكري، ويرجح «سوليز» أن المشكلة سببها فشل إدارة بوش في التخطيط لمواجهة الازمات الطارئة في العراق لاسيما ما كان متوقعا من بروز المقاومة العراقية بسرعة وفعالية من جراء الاحتلال الأمريكي للعراق، وما واكب ذلك من قرارات نفذها الحاكم المدني وكما وصفها «وولفويتز» نائب وزير الدفاع الأمريكي السابق بأن إلغاء القوات المسلحة العراقية وملاحقة عناصر حزب البعث الذي أوجد فراغ سياسيا وامنيا كبيرا في العراق .

° أزمة

واجهت قوات الاحتلال ودوائرها السياسية اكبر أزمة سياسية وعسكرية في حروبها، وكان للشماعة الأمريكية التي تعلق على الورش العاملة معها من ذوي الأصول العراقية في أروقة البنتاجون الذين صوروا لهم احتلال العراق نزهة ستكلل

باستقبال الورود والأزهار من الشعب العراقي أوقعهم بالفخ كما يقولون! وهل ينجح هؤلاء العملاء باستدراج أمريكا وإقناعها بالزحف الزمني لتنفيذ مشروع الشرق الأوسط الجديد وهل هو من وحيهم أم استراتيجية أمريكية (مشروع القرن الأمريكي الجديد) انطلاقا من العراق كرأس جسر إلى الدول العربية والإسلامية وشواهد الأحداث دلاله لتقبل الشك، و اعتمدت الإدارة الأمريكية على استخدام المرتزقة كسوق تجار الحروب تشيني و رامسفيلد ومستشارين آخرين بان تجنيد١٥٠٠٠من المرتزقة المتوحشين وتوزيعهم على المناطق الساخنة في العراق كفيل بالقضاء على المقاومة العراقية، وإخضاعها من خلال تنفيذ عمليات مشبوهة تنسب إلى المقاومة ومحاولة الاختراق وتصفية قيادات وعناصر المقاومة، والمشاركة الفعلية مع القوات النظامية في العمليات الكبرى مثل تدمير المدن العراقية الرافضة للاحتلال وكذلك ارتكاب الجرائم الفظيعة، ويوضح خبير جرائم الحرب في جامعة «جورج تاون» سوليز على خلفية هذه التوصيات قائلا«في حقيقة الأمر أن هذا الأسلوب في الاعتماد على المرتزقة في إخضاع الشعوب تحت الاحتلال قد سبق وان نجح مع تشيني في «بورما»، ومع كسينجر في «اندونيسيا» و«شيلي»،ومع «رومي» في الحرب العراقية الإيرانية، ذلك أن الكثير من الجرائم التي ارتكبتها المرتزقة في العراق، سبق لمرتزقة شركة هاليبرتون في بورما أن نفذتها عندما كان تشيني رئيسها.

يشير تقرير لمعهد «معهد الدقة العام» أن شركة «هاليبرتون» التابعة لنائب الرئيس الأمريكى السابق ديك تشيني حققت فائدة هائلة من المشاريع التي تقوم بها حول العالم ، والتي تم أدانتها على نطاق واسع بسببما تسببه من أساءه لحقوق الإنسان وتدمير البيئة تدميرا كاملا، وتوجد أمثله كثيرة على ذلك منها القيام بإعمال مع شركة خطوط أنابيب» «سيئة السمعة في «بورما» فقد تسبب مشروعها في تدمير البيئة، وارتكبت هناك المرتزقة جرائم بالغة الخطورة بحق الإنسانية كأعمال القتل والاغتصاب والقهر وإجبار السكان على ترك أماكن أقامتهم والهروب إلى مناطق أخرى بعيدا عن عمل هذه الشركة ، وهو مشابه تماما لما يجري في العراق من جراء الاحتلال وعبث المرتزقة، وتتراوح رواتب المسلحين المأجورين من المرتزقة حسب اختصاصاتهم وجنسياتهم ويبقى الأمريكيون البريطانيون أغلاهم سعرا، وهذا يحث الكثير من عناصر الجيوش الغربية الاستقالة والالتحاق بشركات المرتزقة لارتفاع نسبة الرواتب عن الجيش النظامي أربع أضعاف رواتبهم في الجيش النظامي، وفي محاولة من الإدارة الأمريكية لتجميل عمل شركات المرتزقة تصفهم بأنهم (مقاولون أو متعهدون) وبالحقيقة توكل

أليهم مهام قتالية قذرة، وأن القانون الدولي وجميع القوانين العسكرية والوطنية في جميع دول العالم تحرم نشاط الارتزاق العسكري- واتفاقيات جنيف-بما فيها الاتفاقيه الرابعة تسقط من حسابها الأسرى في زمن الحرب من المرتزقة باعتبارهم أسوأ فئة من مجرمي الحرب، وهو ما يعني أن أي من بنود الاتفاقيات لا تنطبق عليهم.

• الأدوار القذرة

أدت شركات الخدمة العسكرية الخاصة دورا قذرا وحشيا في العراق وارتكبت جرائم بحق الشعب العراقي يندى جبين الإنسانية من ذكرها، و نمطية عملها وتاريخها الدموي في الصراعات الإقليمية وأدوارها المشبوهة التى يمكن إحصاؤها بسهولة حيث كانت قوات المرتزقة تعمل جنبا إلى جنب القوات النظامية خلال العمليات العسكرية لغزو العراق وشاركت أيضا في حملات عسكرية «حرب الفلوجة» و«النجف» وغيرها من العمليات الحربية التي استهدفت المدن العراقية بالإضافة إلى المشاركة في تنفيذ عمليات النهب والسلب وحرق مؤسسات الدولة العراقية والمصارف الوزارات والقصور الرئاسية وسرقة الآثار أثناء احتلال بغداد.

كما قامت تلك الشركات بالسيطرة على المواقع المهمة استراتيجيا واقتصاديا، والمشاركة في تعذيب المعتقلين الأسرى العراقيين وانتزاع الاعترافات منهم بوسائل وحشية كما تناولته وسائل الإعلام بالإضافة إلى تامين الحمايات الشخصية للموظفين والعاملين مع دوائر الاحتلال وبعض من الأشخاص ذوي الأصول العراقية ومواكبتهم في تنقلاتهم، وارتكبوا جرائم ومجازر كثيرة بحق المدنيين الأبرياء العزل من جراء تلك الأعمال وكذلك تامين الحماية لقوافل الإمداد اللوجستي لقوات الاحتلال وحماية المنطقة الخضراء والمطار وغيرها من الأماكن المهمة التي تتواجد فيها دوائر الاحتلال.

ولعل من أهم الأدوار التى قامت بها هو تنفيذ مهام التصفيات الجسدية ذات الطابع السياسي والاعتقالات ومتابعة واستهداف وتصفية قيادات ومفاصل المقاومة العراقية وكذلك تنفيذ التفجيرات وسط حشود المدنيين بوسائل متطورة وتوصف أحيانا سيارة مفخخة أو حزام ناسف..الخ ، لإذكاء الفتنه الطائفية أو أحداث تغيير تكتيكي سياسي يوظف إعلاميا.

كما قامت تلك الشركات بتنفيذ عمليات القتل العشوائي ضد المدنيين في مناطق معينة للإيحاء أنها أعمال ذات طابع طائفي ، وتم كشف عدد من عناصر

المرتزقة على طريق اللطيفية الحلة وعلى طريق أبي غريب الفلوجة وفي البصرة على طريق القرنة البصرة يرتكبون تلك الجرائم، وتم التعتيم عليها إعلاميا رغم تناولها من قبل عدد محدود من وسائل الإعلام ومواقع الانترنت.

كما لا يمكن غض النظر عن عمليات السرقات الكبرى للمصارف العراقية وعمليات الاختطاف والقتل والهجمات المنسقة الخاصة وعمليات التصفية الجسدية لائمة الجوامع وتدمير وحرق بيوت الله واستهداف المصلين بالتعاون والتنسيق مع المليشيات الطائفية الإرهابية الممولة من إيران

وهناك الكثير من الأعمال الدموية الوحشية ترتكبها هذه الشركات بدون حساب أو مساءلة قانونية وبحصانة وصلاحية اكبر من حصانة الجندي الأمريكي النظامي التي لا تضاهيها أي حصانة قانونية في العالم تبيح لهم إزهاق أرواح الأبرياء دون مسائلة قانونية. حيث ترتبط شركات الخدمة العسكرية الخاصة بوزارة الخارجية الأمريكية وتقبل معدلات عناصرها في العراق أكثر من ١٤٥ ألف من غير العراقيين .

• الخيار السلفادوري

كثيرة هى الحكايات عن تورط جهات أمريكية رسمية فى إدارة المذبحة خاصة فى الحقبة الطائفية إلا أن الحصول على وثائق تؤكد تلك الحكايات ربما يبدو ضربا من الخيال حاليا إلا أنه قد يصبح أمرا ممكنا فى وقت لاحق[1] وإذا كانت أجزاء سابقة من الكتاب قد حملت دلالات لا تقبل الشك من شهود عيان فى زمن المذبحة إلا أننى سوف أستند فى هذا الجزء إلى تقارير صحفية منشورة حيث كشفت مصادر صحفية فرنسية عن آن فضيحة أشد سوء من فظائع وفضائح أبو غريب هذا السجن العراقى الذى جرت فيه أبشع انتهاكات لحقوق الانسان . وقالت مجلة (ماريان) الأسبوعية الفرنسية أن تلك الفضيحة الجديدة تتعلق بميليشيات غير نظامية مدعومة ماليا وعسكريا من قبل البنتاجون ، مهمتها زرع الموت والدمار والقتل في العراق.

وأضافت (مارايان) الفرنسية في مقال كتبه الصحفي رافائيل ميريكي: أن

(١) أكدت الوثائق التي نشرها موقع ويكيليكس تورط أمريكا في أعمال العنف بشكل مباشر وغير مباشر من خلال عمليات التعذيب وتغاضيها عن معلومات تؤكد تورط السلطات العراقية في أعمال عنف وتعذيب .

الأمريكان في العراق يعاودون التجارب المرة للحروب الاستعمارية..

وبالنسبة لواشنطن فإن الجيش الذي لا يكسب الحرب فانه خاسرها ونظرا لحالة اليأس التي يعيشها منظرو البنتاجون إزاء إخفاقاتهم المتكررة وخيبة أملهم بما يتعلق وقابليات الجيش العراقي الجديد والذي بلغت تكاليف تدريبه الخمسة مليار دولار.

فإن هؤلاء بدأوا يقامرون بمغامرات خطيرة جديدة وهي إقامة ودعم وتشجيع عصابات غير نظامية إضافة إلى ميليشيات بارزاني - طالباني ، أو تلك الموالية لإيران والتي يستخدمها المحتل في ضرب المقاومة. وقد قال رامسفيلد عن هذه العصابات بأنها الوحيدة القادرة على إنهاء الإرهاب.

وتابعت الصحيفة الفرنسية تقول انه في خريف ٢٠٠٤ وقد يكون ذلك بسبب انتخابات ديسمبر ٢٠٠٥ بدأت هذه العصابات بالانتشار والاتساع بشكل رهيب والتي قال عنها المحتل الأمريكي إنها تتكاثر كالفطريات فيما استطاع مراسل (وول ستريت جورنال) كريك جاف، تعداد ما لا يقل عن ١٢ عصابة مسلحة بتسليح جيد وذي بنية لا بأس بها.

وأضافت المجلة الفرنسية تقول أن الجنرال الأمريكي داونينغ وهو قائد سابق للعمليات الخاصة قارن هذه العصابات التي يمولها الاحتلال الأمريكي في العراق بفرق الموت في جمهورية السلفادور في ثمانينيات القرن الماضي ..مشيراً إلى أن أمريكا قررت القيام بالشيء ذاته في العراق والاعتماد على (الخيار السلفادوري).

وأوضحت (ماريان) الفرنسية انه من يقوم بتطبيق الخيار السلفادوري بالعراق هو الجنرال بيتروس المعني بتدريب الجيش العراقي وهو الذي يسلح ويمول ويدرب هذه العصابات التي ما هي إلا ميليشيات خاصة تعهد إليها العمليات القذرة التي لا يريد الجيش المحتل القيام بها والتي تكبده تكاليف باهظة في المعدات والجنود.

ومضت المجلة الفرنسية الأسبوعية تقول أن لهذه السياسة نتائج خطيرة جداً إذ أن تكاثر واتساع هذه العصابات بدعم من البنتاغون تضيف إلى الحرب حرباً وتشعل أوار النعرات والأحقاد الطائفية، وقالت أن الفوضى وصلت إلى الحد الذي

لم يعد فيه ممكنا التعرف على الجهة أو الطائفة التي تنتمي إليها الجثث المجهولة الهوية والتي غالباً ما تلقى في نهر دجلة.

وأضافت (ماريان) أيضا أن جورج بوش يعرف جيدا بان عصابات القتل والموت هذه يقودها اصدقاء وأقارب الوزراء المعينين من قبل المحتل الذي يقدم لها الغطاء والدعم المعنويين إضافة إلى الإفلات من أية مساءلة أو حساب.

وأوضحت (ماريان) تقول أن من ضمن قادة هذه العصابات المدعو عدنان ثابت

٦٣ عاما تلقى خبراته العسكرية في الاتحاد السوفيتي ويوغسلافيا كان يعمل سابقا في المخابرات وشارك إياد علاوي في محاولة الاغتيال الفاشلة التي استهدفت الرئيس صدام حسين وقد حكم عليه بالسجن المؤبد إلا أنه تم إصدار قرار العفو عنه عشية العدوان الأمريكي. وقالت أن (عدنان ثابت) أنشأ في أكتوبر عام ٢٠٠٤ وبركة ابن أخيه وزير الداخلية في الحكومة العراقية المؤقتة والمعينة من قبل الاحتلال، ميليشيا قوامها ١١٠٠٠ عنصرا أطلق عليها اسم مغاوير العمليات الخاصة والتي تعد ثاني قوة عسكرية في العراق تفوق عددا القوات البريطانية.

وقالت المجلة الفرنسية أن جلال طالباني لم تعجبه هذه العصابات وطلب من وزير الدفاع الأمريكى دونالد رامسفيلد إنهاء وجودها أو تغيير قائدها إلا أن رامسفيلد رفض الطلب.

وأشارت المجلة إلى أن هذه الميليشيات شاركت في جميع الهجمات العدوانية التي شنها المحتل الأمريكي علي مدن وقرى العراق وخاصة فى الرمادي والموصل وبغداد موضحة انه بهدف إرهاب المقاومة والكلام مقتبس نصا عن المجلة الفرنسية، فان عدنان ثابت ، كلف بعضها بإجراء دوريات في شارع حيفا وسط بغداد فيما تحتل فئات أخرى مدينة الفلوجة.. وكشفت المجلة أيضاً عن أن هذه الميليشيات تكبدت مالا يقل عن خمسين قتيلا وأكثر من ٣٠٠ مصاب. كما أن لتلك العصابات سجون خاصة سرية في كل من الموصل وبغداد حيث يقبع المئات وتمارس فيها شتى أنواع التعذيب والممارسات اللا أخلاقية ويتم عرض هؤلاء السجناء في برنامج (الإرهاب: يد العدالة) تبثه قناة «العراقية» وأكدت المجلة الفرنسية أن هذه القناة التلفزيونية تديرها شركة استرالية هي (هاريسون كوربوريشن) وهي بمثابة هدية قدمها البنتاجون لهذه الشركة والتي حظيت بعقود «إعادة إعمار» عملاقة في العراق مكافأة لها وكرد اعتبار لمبلغ ٢٦٠٠٠٠ دولار تبرعت به الشركة الاسترالية المذكورة لحملة بوش الانتخابية عام ٢٠٠٤.

وأكدت المجلة أن هذه القوات المدعومة من أمريكا تحمل في ثناياها بذور فتنة طائفية وعرقية مما سيؤدي إلى تصفية حسابات دموية.

ومضت (ماريان) تقول انه إضافة إلى هذه العصابات المسلحة فإن القوات الأمريكية هي الأخرى عمدت مؤخرا على إقامة ميليشيات مسلحة لاستخدامها الخاص فأنشأوا سرية من المرتزقة قوامها ٦١ عميلا شاركوا الفوج ال ٢٣ الأمريكي أثناء العدوان على محافظة الانبار.

وأكدت (ماريان) أيضاً : إن القائد المسؤول عن منطقة الدورة في بغداد سعيد

مالك يقوم بتصفيات واغتيالات على الطريقة السريعة لحساب الأمريكان وهؤلاء يردون إليه الاعتبار بمنحه عقود بناء ضخمة.. أما المحتل الأمريكي فإنه غالباً ما يطلب إطلاق سراح القتلة والمجرمين شريطة قيامهم بعمليات غدر وتجسس ضد (المتمردين الصداميين) وختمت (ماريان) الفرنسية بالقول وهكذا يستمر الاحتلال بتشجيع نخر المجتمع المدني العراقي حيث الميليشيات المسلحة والتي قوامها ٥٠٠٠٠ عنصرا تجول وتصول وهي تمارس القتل والدمار والتطهير العرقي دون حساب أو عتاب وتحت أنظار المحتل الأمريكي.

وفى نهاية يوليو ٢٠١٠ قرر قاض فيدرالي أميركي السماح لـ٧٢ مواطنا عراقيا بمواصلة دعاوى قضائية كانوا قد رفعوها عام ٢٠٠٨ ضد شركة خاصة قامت بتعذيبهم في المعتقلات التي يديرها الجيش الأميركي في العراق.

وأعطى القاضي بيتر ميسيت الضوء الأخضر لـ٧٢ مواطنا عراقيا لمواصلة تحركهم أمام القضاء في الدعاوى التي رفعوها عام ٢٠٠٨ ضد شركة بلاك ووتر » التي اتهموها بممارسة التعذيب ضدهم حين كانوا معتقلين، بحسب وكالة «فرانس برس».

ونقلت الوكالة عن نسخة حصلت عليها من قرار القاضي ميسيت جاء فيه «استنادا إلى الوقائع التي تم نقلها، يمكن التأكيد أن » خرقت قوانين الحرب بحيث لا تنجو من ملاحقات قضائية»، وأن «الشكوى لا تثير مسائل سياسية إذ أنها تستهدف شركة خاصة، ولا تثير بالتالي جدلا حول فصل السلطات».

يشار إلى أن الشركة الخاصة موضع الشكوى، تؤمن للجيش الأميركي مترجمين في السجون التي يديرها في العراق، ومنها سجن أبو غريب.

وكانت محكمة الاستئناف في واشنطن حكمت في قضية منفصلة في شهر أيلول ٢٠٠٩ بحفظ شكوى مماثلة رفعها معتقلون عراقيون سابقون ضد الشركة نفسها.

وعلق القاضي مبررا مواصلة المحاكمة انه «في زمن الحرب يسمح بأمور كثيرة لا تكون مسموحة في زمن السلم، لكن بعض الأفعال شنيعة أو بعيدة عن هدف الانتصار إلى حد تثير تنديدا عالميا».

من جانبها، قالت سوزان بورك وهي من المحامين الأمريكيين : إنه بفضل هذا القرار سوف يقدم هؤلاء الرجال الأبرياء إسهامهم في التاريخ الحقيقي لسجن أبو غريب المشؤوم.

فيما وصفت المحامية كاثرين غالاغر القرار بـ«المنطقي» ويقول بوضوح أن الشركات تحمل مسؤولية ما ترتكبه من أخطاء تستوجب التنديد في جميع إرجاء

العالم حتى لو كانت متعاقدة مع الإدارة الأميركية.

وما زال في وسع الشركة والجيش الأميركي استئناف القرار، ومن المحتمل أن تصل قضية سجن أبو غريب إلى المحكمة العليا في حال استمرار الخلاف في وجهات النظر بين مختلف المحاكم، ما سيرجئ صدور الحكم بعد ست سنوات على نشر صور يظهر فيها معتقلون عراة في أوضاع مذلة أو مكدسين أرضا.

ولم تخرج الملاحقات القضائية حتى الآن من الدائرة العسكرية، وجرت محاكمة ١١ جنديا أميركيًا وحكم عليهم بعقوبات تراوحت بين بضع ساعات من العمل للمصلحة العامة والسجن عشر سنوات.

والمعتقلون السابقون الـ٧٢ الذين أطلق سراحهم جميعا دون أن توجه إليهم أية تهم اثر مدد اعتقال استمرت من شهر إلى أربع سنوات، يقولون أنهم خضعوا للضرب والتعذيب والتعديات الجنسية والصدمات الكهربائية والتعليق من القدمين، كما تم تهديدهم بالإعدام .

• المرتزقة الأفغان

يكشف المحلل السياسي الاستقصائي وين ماديسون، المقيم في واشنطن، وكاتب العمود في صحف ميامي هيرالد، وهيوستن كرونيكل، وفيلادلفيا انكوايرر، ومواقع كاونتر بنج، وكورب ووج، وأونلاين جورنال، وغيرها أن الولايات المتحدة «استوردت» المتمردين الأفغان لمصلحة (القاعدة في العراق). وقال إنه علم من مصادر استخبارية خدمت سنة ٢٠٠٧ في قاعدة (طليل) الجوية في العراق، والتي كانت تُسمّى من قبل قاعدة الإمام علي الجوية واحتلتها القوة الجوية الأميركية في وقت مبكر، أن أجهزة المخابرات الأميركية استوردت (مرتزقة أفغان) لدخول العراق بهدف مهاجمة المدنيين، وأفراد الجيش والشرطة العراقيين، وكذلك مهاجمة قوات التحالف، بضمنها جنود الجيش الأميركي. وأوضح أن هؤلاء المرتزقة الأفغان جُنّدوا من قبل زعماء في طالبان، ودفعت لهم مبالغ ضخمة كنتيجة لـ(خدماتهم) في العراق. وأماط ماديسون اللثام عن علمه أن الشرطة العراقية أوقفت خلال سنة ٢٠٠٧، شاحنة تسحب مقطورة (تريله) طولها ٤٠ قدماً فوق أحد جسور بغداد. وعندما فحص ضباط الشرطة العراقيون مقطورة الشاحنة، اندهشوا لاكتشافهم بين ٣٠ إلى ٤٠ أفغانياً من عناصر طالبان. لقد قيل لهم إنهم جلبوا إلى العراق من قبل الولايات المتحدة الأميركية، وكُلفوا بمهمة إثارة المشاكل والفتن في العراق، والتي وصفت معظمها من قبل الجيش الأميركي بأنها (أعمال

مريبة) يقوم بها تنظيم القاعدة الجهادي في بلاد الرافدين، والتي تُشتهر على نطاق واسع باسم (القاعدة في بلاد الرافدين)!. وكان القادة العسكريون الأميركان الموجودون ساعة اكتشاف الشاحنة قد أمروا الشرطة العراقية بالسماح للمتمردين الأفغان بمغادرة جسر منطقة الكرادة من دون أية إعاقة. لقد عملت خلية طالبان في العراق –كما يبدو للمحلل السياسي- بموجب خطة سرية بغطاء أميركي لمواجهة خلايا جيش المهدي التي كانت تزرع القنابل في طرق القوات الأميركية.

وفي ٩ أبريل/نيسان سنة ٢٠٠٩، علم ماديسون من مقاول عسكري خاص سابق مع الجيش الأميركي في العراق أن الولايات المتحدة كانت تعرف بالضبط هويات صانعي القنابل، وأرقام تلفوناتهم الخلوية ممن يعملون مع جيش المهدي التابع لمقتدى الصدر. ويقول أديسون أن خلايا القنابل كانت مسؤولة عن تفجير الكثير من القنابل التي استهدفت السُنّة وجنود قوات التحالف، بضمنهم الأميركان. ويؤكد أن فشل الجنرال ديفيد بيتريوس، وجورج كيسي لعمل شيء ضد خلية صنع القنابل، كان يهدف إلى عدم تعريض اتفاقية تمديد اتفاقية الشهور الستة لوقف إطلاق النار بين قوات التحالف متعددة الجنسيات، وبين الميليشيات الشيعية سنة ٢٠٠٦.

ويقول أن واحدة من خلايا صناعة القنابل كان موقعها في منطقة الكرادة ببغداد، وهي المنطقة نفسها التي أوقفت فيها الشاحنة من قبل الشرطة العراقية. لقد حصل المحلل السياسي الأميركي على قائمة –بجزءين- وصلت إلى السلطات الأميركية من قبل خلية قنابل الكرادة. ولم تتخذ الاستخبارات الأميركية أية إجراءات بصدد ذلك، كأن تخبر جنود الجيش الأميركي لإعاقة عملية صنع القنابل التي تقوم بها المجموعة الشيعية شبه العسكرية. وفي الترجمة الإنكليزية لخلية صنع القنابل ذكر أحدهم الآتي: إسمي (فاضل سليم ناجي) في منطقة الجادرية ٩٢٣٤٣، بغداد، ورقم الموبايل ٠٧٩٠١٢٨٩٦٨٧. كنتُ قبل سنة ٢٠٠٣ عضواً في حزب البعث، و(منسّقاً) للحكومة العراقية مع الحكومة الإيرانية. ومنذ ذلك الوقت أعمل مع الحكومة الإيرانية بالتنسيق مع جيش المهدي. كان دوري تسلم الأموال لشراء أسلحة هذا الجيش من الاستخبارات الإيرانية، وتقديم طلبات الأسلحة. وموقع اجتماعي مع الإيرانيين، كان عند نقطة حدودية قريبة من مدينة ماراغين الإيرانية....وكنت أتلقى أوامري دائماً من مدينة الثورة «الصدر حالياً»، وفيها كنت أجري اتصالاتي بزعماء جيش المهدي.

أما (عقيل سلام حامد) الملقب بـ(الإيراني) والذي يقيم في منطقة الجادرية ببغداد، فكان يعمل مع أخيه (حسين سلام حامد) وكلاهما مسؤولان عن صنع

القنابل وتدبير أدوات زراعتها. ورقم هاتفه الخلوي (٠٧٧٠٢٦٦١٨٥) والرقم الأرضي (٧٧٨٦٤٩٥). وحسين مسؤول عن حساب المركبات العسكرية في منطقة الجادرية، وهو ضابط التخطيط الرئيس في تحديد الأهداف والبنايات والطرق التي يتم زرع القنابل فيها، ويضمن ذلك المتفجرات اللاصقة البلاستيكية التي تستخدم لمهاجة الخصوم في أغراض شتى. لقد صنع مؤخراً القنبلة التي جرى تفجيرها في محل مرطبات بشارع الجادرية. أما رقم هاتفه فهو ٠٧٨٠٣٤١١٤٨٠. ويذكر ماديسون أسماء (فاضل دبوس) و(باسم حيدر) و(سالم) الاسم الأخير يُذكر مشفوعاً بالرقم ٢٣، وكان سالم قد أخبر من قبل حسين حامد أن أمامه ثلاثة أيام لترك عمله أو أنه وأفراد عائلته سوف يقتلون. وأوضح ماديسون أن رقم الهاتف الخلوي لفاضل ٠٧٩٠٦٧٦١٧٢٣ في مدينة الثورة (يقصد مدينة الصدر) وكان قد تلقى مكالمتين من حسين حامد في ٢٣-١٠-٢٠٠٧ و في ١١-١٠-٢٠٠٧. كما جرى تهديد زوجة فاضل دبوس من قبل حسن حامد أمام مبنى مدرسة خولة بنت الأزور في الجادرية. وقال أن (راند بدري) المعلمة المشرفة في المدرسة قتلت قبل أسبوع من قبل حسين سالم حامد، والذي قتل أيضا والدها المدير في المدرسة. ويبين المحلل السياسي أن هناك زعيماً آخر في جيش المهدي اسمه (فاضل) يحمل الهاتف الخلوي ذي الرقم ٠٧٨٠١٦٥٧٥٦٦. وأوضح أن منطقة زيونه ببغداد، كانت (موقع عمل اغتيالات يقوده حسين حامد) وبرقم الهاتف الخلوي ٠٧٩٠٢٢٧٢٨١٤. وكشف أن السيارة المرقمة ٢٦٨٨٨ بيضاء اللون، استخدمت لنقل عناصر الميليشيات من نقطة الحدود التي سبقت الإشارة إليها. وأورد ماديسون في تقريره اسم (سعيد حامد) الذي يستخدم رقم الهاتف الخلوي ٠٧٩٠٢٢٧٢٨١٤ أيضاً باعتباره (الجهاز التنفيذي) للعمليات التي يأمره بها حسين حامد، وهو مسؤول أيضا عن عمليات القتل والتفجير في المنطقة. ويخلص المحلل السياسي من تفاصيل تقريره إلى القول أن استعمال قوات العمليات الخاصة الأميركية، ووكلاء الاستخبارات الأمريكية السريين لعناصر إرهابية من مقاتلي طالبان الذين يجلبونهم من أفغانستان، ولعناصر من متمردي جيش المهدي لتصعيد العنف الطائفي والعمليات الإرهابية في العراق يمثل حتى الآن (انتهاكاً صارخاً لمعاهدات واتفاقيات وقوانين مناهضة الإرهاب المحلية والدولية) مارسته إدارة (بوش-تشيني).

• الفساد

في ٢٧ يوليو من عام ٢٠١٠ ذكر مكتب المفتش العام الأمريكي لإعادة إعمار العراق أنه رغم إنفاق ملايين الدولارات لإعمار العراق، فان معظم هذه الأموال

اختفت دون أن تتمكن وزارة الدفاع الأمريكية (البنتاجون) التي أدارت برنامج الإعمار من إعطاء تفسير حول مصيرها.

وندد المكتب في تقرير نشرته وسائل الإعلام بإدارة أموال إعمار العراق من قبل الوكالات العسكرية الأمريكية، التي أخفقت في الالتزام بالقواعد الأمريكية حول كيفية الرقابة على إنفاق هذه الأموال.

وأشار إلى أن الوزارة أخفقت في تقديم حسابات مصرفية بشأن ٩٦ ٪ من الأموال اي ٨,٧ مليار دولار من أصل الـ٩ مليارات التي حصلت عليها في إطار برنامج إعادة إعمار العراق في الفترة بين ٢٠٠٤ و٢٠٠٧.

وذكر التقرير أيضاً أن الجيش الأمريكي ما زال يحتفظ بمبلغ ٣٤,٣ مليون دولار من هذه الأموال على الرغم من أن الواجب إعادته إلى الحكومة العراقية في ديسمبر/كانون الأول ٢٠٠٧.

وتجدر الإشارة إلى أن معظم هذه الأموال جاءت من عوائد النفط والغاز العراقي بالإضافة إلى بيع بعض ممتلكات صدام حسين وحاشيته.

ربما يتساءل القارىء الكريم ما العلاقة بين ضياع تلك المليارات والدور الأمريكى فى المذبحة العراقية والإجابة هى أن إشاعة ثقافة الفساد والإفساد لا تختلف كثيرا عن إشاعة ثقافة العنف والفتنة والقتل الأعمى فكلا الثقافتين نتيجتهما واحدة وهى تدمير المجتمع واستنزاف ثرواته المادية والبشرية وقد عرضت قناة الحرة عراق الفضائية يوم الخميس ٢٠١٠/٣/٢٥ برنامج الطبعة الأخيرة الذي يعرض مقالات وإخبار الصحافة الغربية.

وسلط مقدم البرنامج الضوء على ما نشرته صحيفة (نيويورك تايمز) عن تورّط عراقيين وأمريكيين في قضايا فساد كبيرة تحت لافتات مشاريع إعادة أعمار العراق .

وعلق مقدم البرنامج على موضوع التحويلات المالية للمفسدين الأمريكان من المقاولين والضباط والجنود الأمريكان فأشار إلى اختلاف طرق تحويل الأموال من العراق إلى الولايات المتحدة الأمريكية .

وشرح طرق تحويل الأموال ومنها شراء الأراضي وقروض ووضع الأموال في المنازل وشراء العجلات الفارهة من طراز بي ام دبليو و همفي والإنفاق المجنون في الكازينوهات والملاهي الليلية .

وأضاف مع عرض مقالة صحيفة (نيويورك تايمز) على شاشة القناة أن

الطرق الأخرى في عمليات غسيل الأموال هي إخفاء الأموال في حسابات في البنوك الأجنبية في غانا وسويسرا وهولندا وبريطانيا .

وفي نهاية برنامج الطبعة الأخيرة تطرق مقدم البرنامج إلى أن مدير مكتب المنتش العام الأمريكي ستيورت بوين يرفض الكشف عن تفاصيل عمليات الفساد وغسيل الأموال في برنامج إعادة الأعمار العراقي والبالغة (٢٥٠ مليار دولار) .

وفي سياق متصل نشرت جريدة صوت العراق الصادرة يوم ٢٠١٠/٣/١٦ (الصفحة الثانية) خبرا حول الجرائم المالية حيث أشار (الخبر) إلى ما قاله ستيفن هوداك الناطق باسم جهاز مكافحة الجرائم المالية بوزارة المالية الأمريكية أنهم يضعون ما بين ١٥الى ١٦ مليون تقرير سنويا حول أنشطة مالية مشبوهة بما في ذلك ودائع نقدية تزيد عن عشرة آلاف دولار.

وأضاف أن المعاملات المالية تشمل تحويلات بنكية وشيكات وكازينوهات ومكاتب سماسرة أوراق مالية وشركات تامين مبينا أن جهاز مكافحة الجرائم المالية شارك في عمليات الفساد في برنامج إعادة إعمار العراق .

وفي الموضوع ذاته ذكر مختصون في مجال مكافحة الفساد أن الحكومات المتعاقبة الأمريكية والعراقية كانتا تدركان و تعرفان جيدا ماذا يجري في العراق بعد ٢٠٠٣/٤/٩ من عمليات فساد حيث مارست فيها شركات أمريكية وعراقية تابعة للبعض من كبار المسئولين في كلا الحكومتين عمليات غسيل أموال وفساد وهو ما يطلق عليه تضارب المصالح والفساد الخارجي وعولمة الفساد.

ولا يقتصر الفساد الذى ترعاه جهات أمريكية نافذة على ضياع الأموال فقط وإنما يتجاوزه إلى حماية المفسدين حيث اقتحمت القوات الأمريكية مركزا للشرطة في المنطقة الخضراء التى تخضع لنفوذها وأطلقت سراح وزير الكهرباء السابق أيهم السامرائي الذي يحمل الجنسيّة الأمريكية وهو متهم بقضايا فساد تصل مبالغها إلى أكثر من مليار دولار بينما قامت الحكومة العراقية بإطلاق سراح آلاف المتهمين بقضايا سرقة المال العام ، ولعل أبرزهم وزير التجارة عبد الفلاح السودانى أضف إلى ذلك أن المادة ١٣٦ ب من قانون أصول المحاكمات الجزائية(تسمح للوزير بغلق ملف الفساد) لا تزال سارية المفعول وان اغلب قضايا الفساد تغلق من قبل الوزراء في الحكومة .

وتؤكد التقارير ، الرسمية والصحفية ، الصادرة من داخل أمريكا أن عددا من الشركات الأمريكية العاملة بالعراق مارست وما تزال عمليات فساد مالي كبيرة لاسيما تلك المرتبطة بنائب الرئيس الأمريكي السابق ديك تشيني وإذا كان

بعض المسؤولين ورجال الأعمال العراقيين قد مارسوا فسادا ماليا فان المفسدين الأمريكيين علّموهم وجرؤهم على ممارسة عمليات فساد ما كانوا ليجرؤا عليها بمفردهم .

والمعطى السيكولوجي الذي أحدثه الاحتلال لدى عدد من المسؤولين والموظفين ورجال الأعمال العراقيين أن لسان حال الواحد منه صار يقول : « ما دام المحتل ينهب العراق وليس له من رادع ..فلماذا لا أنهب أنا وطني».

ولقد خلقت سلطة الاحتلال أجواء نفسية شجعت على إشاعة الفسادين المالي والإداري ..والسياسي أيضا .فمع الاحتلال جاء الإرهاب ، وكاد أن يتحول الاحتراب الطائفي بين السّنة والشيعة إلى حرب أهلية ، وتحولت الحياة إلى فوضى ، وصار الناس لا يأمنون يومهم ويتوقعون الشر في غدهم .

وفي أجواء نفسية كهذه فان الناس تسيطر عليهم سيكولوجية « الحاجة إلى البقاء » التي من خصائصها أنها توجه سلوكهم نحو أية وسيلة تساعدهم على البقاء حتى لو كانت غير مشروعة وكان الفساد المالي هو الوسيلة التي مارسها عدد من العراقيين في موقع المسؤولية ، فيما كانت السرقة وسيلة من ليست لديهم وظيفة ، من المتذرعين بمقولة « الضرورات تبيح المحظورات ».

ولم يتوقف الفساد على الشأن العراقي فقط بل تعداه إلى الشأن الأمريكي ممثلا بشكل كبير في المشكلات التي أصابت السفارة الأمريكية في بغداد ، كما نقلت ذلك كل من وكالتي اسوشييتد بريس ووكالة الصحافة الفرنسية وصحف واشنطن بوست ومكلاتشي ويو أس أي توداي والتايمز اللندنية فضلا عن مجلة فورن بوليسي وشبكة سي أن ان التي أوردت عناوين مختلفة تتعلق بهذه المشكلات التي تتعرض لها الآن السفارة وهذه نماذج منها :

- أخطاء متعددة تتعلق بسعر مبنى السفارة الأمريكية في بغداد.
- صحيفة مكلاتشي ٢٢ أكتوبر.
- أمريكا تستحق إعادة بعض نقودها التي صرفت على مبنى سفارتها في بغداد.
- يو إس أي توداي ٢٢ أكتوبر.
- مزيدا من المشكلات المفجعة في سفارة أمريكا في العراق.
- مجلة فورن بوليسي ٢٢ أكتوبر.
- أمريكا تطلب خصم عن عـ.ـل بناء سفارتها في العراق.
- اسوشيتيد بريس ٢٢ أكتوبر.
- بسبب الأخطاء ...تعويض قدره ١٣٢ مليون دولار تتعلق ببناية السفارة .

- واشنطن بوست ٢٣ أكتوبر.
- تقرير يؤكد وجود أخطاء كبيرة في السفارة الأمريكية في بغداد .
- شبكة سي أن إن ٢٤ أكتوبر.

السفارة الأمريكية التي اعتبرها المراقبون أكبر سفارة في العالم بتكلفة ٧٠٠ مليون دولار وسعة لحوالي ٢٠٠٠ موظف ، والتي لها القدرة على مقاومة الهزات الأرضية وهجمات المسلحين على حد تعبير أوليفر أوكست في صحيفة التايمز ، هذه السفارة التي لم يمض تسعة أشهر على بنائها ...هاهي الآن تعاني من مشكلات جسيمة يُكلف إصلاحها ١٣٢ مليون دولار طالب المفتش العام في الخارجية الأمريكية هارولد كازل باستردادها من الشركة الكويتية التي قامت باستلام ٤٧٠ مليون دولار .

التقرير أو الدراسة التي كتبها المفتش العام في وزارة الخارجية الأمريكية وأرسلت إلى الكونجرس الأمريكي في بداية الأسبوع الماضي والتي نُشرت على الموقع الرسمي لوزارة الخارجية يوم الجمعة ٢٤-١٠-٢٠٠٩ ، أشارت إلى وجود مشكلات حقيقية تتعلق ببناء السفارة ووصلت إلى نتيجة مؤلمة صاغتها في عبارة « نتيجة للعيوب التي وجدت في بناء السفارة فإنه قد نتج عنها بناء غير متكامل ولا يمكن الوثوق به إلى حد ظهور رائحة لمياه التصريف في مقر إقامة نائب السفير الأمريكي في العراق، كما أشارت إلى ذلك صحيفة التايمز ، لذلك ننصح وزارة الخارجية باسترداد ١٣٢ مليون من الشركة الكويتية .

السؤال الذي نطرحه هو: إذا أخفق الأمريكيون في بناء سفاراتهم في العراق . كيف يمكن أن يكون للعراقيين أمل في قدرة الولايات المتحدة على بناء العراق الجديد ؟

سؤال مهم ينبغي الإجابة لأن الذي حصل يجب أن يحفز السياسيين العراقيين على مواجهة ذاتهم ومصارحة أنفسهم بأن بناء بلدنا وأعمارد وانتشاله من واقعه المزري لا يتم إلا بأيديهم أنفسهم لا بأيدي الآخر ويجب أن يضعوا ما حصل نصب أعينهم عساهم يفلحوا في بناء البلد المدمر الذي عانى مأساة إنسانية تصلح أن تكون أكبر قصة درامية في تاريخ الأدب الإنساني العالمي!

• ماما أمريكا

رغم مسئولية الولايات المتحدة عن كل ما جرى فى العراق بعد انهيار نظام صدام حسين عام ٢٠٠٣ باعتبارها دولة الاحتلال الأولى التى أسست لتدمير العراق

بتركها صدام حسين يحكم ١٣ عاما بعد إخراجه من الكويت ودحر جيوشه وما تلا ذلك من حصار وتدمير وضربات عسكرية إجهاضية قبل توجيه الضربة الأخيرة التى انتهت بالسقوط المدوى لعاصمة الرشيد فى قبضة القوات الأمريكية .. رغم كل ذلك فإن هناك الكثير من العراقيين الذين يعتبرون أمريكا دولة محررة لبلدهم بل وينظرون إلى الرئيس السابق جورج بوش نظرة البطولة وأنه الرجل الذى يستحق أن ينصب له تمثال فى كل مكان ينتزع منه تمثال صدام حسين .. بل ذهب بعضهم إلى أبعد من ذلك برفع العلم الأمريكى فى بيته مجاورا للعلم العراقى أو الكردى .

وتدحض هذه الصورة ما يشاع عن رفض عراقى مطلق للتواجد الأمريكى سواء فى بداية دخول القوات الأمريكية إلى بغداد أو الأشهر الأخيرة من العام ٢٠١٠ والتى يواصل فيها الأمريكيون استعداداتهم لسحب القوات القتالية من العراق تنفيذا للاتفاقية التى وقعها جورج بوش الابن قبل أن يغادر البيت الأبيض نهاية العام ٢٠٠٨ .

وتختلف الأسباب التى يسوقها من يرى فى الترحيب بالاحتلال الأمريكى أمرا واجبا وأن بقاء القوات الأمريكية هى الضمانة الوحيدة للاستقرار حتى يكتمل المشروع الذى يجب أن يسود العراق الجديد وما يمثله من قيم الحرية والديمقراطية والانتقال من النظام الديكتاتورى التسلطى إلى النظام التعددى الليبرالى .

والحقيقة أننى كنت أتعجب كثيرا عندما يؤكد لى عراقيون سواء من السنة أو الشيعة حرصهم على بقاء القوات الأمريكية باعتبارها ضمانا لأمنهم خاصة فى سنوات العنف الطائفى رغم كلما يقصونه عن دور أمريكى فى تلك الفتنة .. حيث أكد لى كثيرون أنهم كانوا يسمحون بدخول القوات الأمنية إلى مناطقهم خاصة المناطق السنية بالعاصمة بغداد عندما تكون بصحبة قوات أمريكية باعتبارها ضمانا لعدم التعرض لهجمات من فرق الموت التى ترتدى زى القوى الأمنية العراقية .. بينما كان يوجد اتفاق بين وجهاء تلك المناطق بمهاجمة أى قوة أمنية عراقية تدخل شوارعهم بسبب الشكوك فى ممارستها أعمال عنف على أساس طائفى .

إلا أن ما جرى من مواقف كنت طرفا فيها مع مواطنين عراقيين أكد لى بما لا يدع مجالا للشك أن نظرة نسبة كبيرة من العراقيين للأمريكيين ليست نظرة عدائية حيث قال لى رجل أعمال شيعى ملتزم عندما كنا نتحاور حول ما آلت إليه الأوضاع بالعراق فى ظل الاحتلال الأمريكى وما تكبده المواطنون الأبرياء من خسائر فى الأرواح والممتلكات خاصة فى عامى ٢٠٠٦ و٢٠٠٧ أنه دعا لجورج بوش الابن عندما

زار الأراضى المقدسة وداخل الحرم الشريف بمكة ..وبدت على علامات الاستغراب المشوبة بالحذر من هذا الكلام .. أعرف أن هناك من كان يريد الخلاص من صدام حسين ورحب بالامريكيين لهذا السبب ولكن ليس لدرجة الدعاء لبوش الذى أنهى تاريخه السياسى بفردتى حذاء من شيعى شاب ربما كانت له أهداف أخرى .

سألت مضيفى كيف تصل درجة الإعجاب بالاحتلال إلى هذا الحد إلا يعد ذلك مدعاة للقول بأن الشيعة لا يحبون بلدانهم رغم أن لى أصدقاء من شيعة العراق ربما لا تجد لهم مثيلا فى الوطنية والإخلاص والمودة والكرم وكل قائمة الصفات النبيلة .. أجاب الرجل بهدوء شديد ينم عن ارتباط روحى عميق بالدين وأهل البيت « لقد كان بوش سببا رئيسيا فى أن أمارس طقوسى الدينية بكل حرية وهو ما يريح قلبى وضميرى كشيعى ملتزم» .. كنا محرومين من كل شىء فى عهد صدام لا نستطيع حتى الإفصاح عن معتقداتنا أو رفع الصوت بدعائنا الذى ورثناه عن الأئمة الأطهار أما الآن فحتى السعودية / التى أشاد بأدائها كثيرا فى تنظيم الحج/ تسمح لنا برمى الجمرات من الأرض وليس عن طريق الجسر وهى شعيرة هامة بالنسبة للحجاج الشيعة كانت لا تطبق لسببين خوفا من تقارير رجال صدام المرافقين للحجاج وعدم وجود مثل هكذا إجراء فى السابق .

سألته «الم يكن الثمن فادحا وفاق عدد القتلى من الأبرياء خلال أعوام ما بعد الاحتلال ما قتله صدام خلال ٣٥ عاما ؟» .. قال لى «بالتأكيد الثمن فادح ومن ارتكب ذلك لم يكن ملتزما بالدين ودخلت فى الأمور أمور أخرى واختلط الدين بالسياسة بالمصالح الاقتصادية والتجارية ولكن هناك أمر عاد إلينا نحن الشيعة كنا مستعدين لدفع ثمن يفوق ما دفعناه نحن واخواننا السنة أضعافا مضاعفة حتى نحصل عليه ».

سألته ما هو ؟؟ .. قال «الحرية أولا دينيا واجتماعيا والانتماء ثانيا » .. ويعترف الرجل بكل شجاعة بأن «الكثير من الشيعة والسنة كانوا يتمنون بل ويدعون أن يهزم العراق فى كل المحافل والمعارك ليس العسكرية فقط وإنما حتى الرياضية والثقافية لان أى انتصار يتم تجييره لصالح البعث ونظام صدام حسين وعائلة صدام حسين ».

ربما يثير هذا التفسير حفيظة البعض ويعتبر ذلك دليلا لخيانة الشيعة لكن المذهل فى الأمر أن الشعور المرحب بانهيار نظام صدام حسين لا يفرق بين سنى وشيعى فقد التقيت فى أكثر من مناسبة وأكثر من مكان بعراقيين ينتمون إلى الطائفة السنية ومن قادة الجيش السابق لا شيء فى فمهم عندما يذكر صدام

حسين إلا دعاء عراقيا يحمل الكراهية والتشفى والرغبة فى الانتقام وهو « طيح الله حظه، خرب البلاد والعباد وان كان الشعور الآخر بالانتكاسة والحزن لضياع البلد والخراب الذى حل بها بعد دخول الاحتلال لان ما لا يعلمه الكثيرون أو يعلمونه ولا يريدون البوح به ونشره على نطاق واسع أن صدام ألحق الأذى الأكبر بالسنة وقتل الكثير من قادته العسكريين السنة بل ومن نفس العشيرة وربما العائلة فهو لم يفرق أبدا على أساس المذهب وإنما على أساس المصلحة الشخصية العليا التى كانت تختصر فيها مصالح العراق وربما الأمة العربية كلها

وربما يفسر هذا الأمر أيضا ما رايناه عن عزوف الكثير من الشيعة عن المشاركة فى مذابح الفتن سواء الطائفية أو العشائرية التى اندرجت تحت مسميات شريفة منها الجهاد أو حماية الطائفة وابتعد الكثيرون من الطرفين عن مسميات مثل النواصب / اللفظ البغيض الذى يطلق على السنة/ والرافضة / اللفظ البغيض الذى يطلق على الشيعة / والذى جعل من القتل رسالة مقدسة راح ضحيتها مئات الآلاف ممن لا ذنب لهم سوى أنهم يحملون أسماء غير مسؤولين عنها أطلقها آباؤهم مثل عمر وعثمان وأبو بكر وعائشة كسنة أو حيدر والعباس وكاظم وما عُبد منها كشيعة /عبد الكاظم وعبد العباس .

وفى حوار آخر مع جار لى كردى يدعى «أبو زينب» قال لى بكل فخر إنه يضع داخل بيته ومكتبه العلم الأمريكى بجوار العلم الكردى بينما لا يضع العلم العراقى وهو سلوك أكد لى أن الغالبية العظمى من الأكراد يشاركونه فيه بإعتبار أن أمريكا هى التى حررت الأكراد من قبضة صدام ومنحتهم الكثير من الحقوق وأحيت آمالهم فى استعادة أحلامهم الضائعة فى دولة كردية تضم الكثير من المناطق التى يعتبرونها تاريخياً أرضا كردية وعلى رأسها كركوك العائمة على بحار من النفط / ٢٥٥ كم شمال بغداد/ وبعض مناطق من محافظات نينوى وصلاح الدين وديالى وهى المناطق التى بات يطلق عليها إعلاميا « المناطق المتنازع عليها» بينما يسميها الأكراد « المناطق المستقطعة» بل أن هناك وزير فى حكومة إقليم كردستان المتمتع بالحكم الذاتى شمال العراق يسمى « وزير مناطق خارج الإقليم» وهى المناطق التى وردت فى خارطة حدود ضمن دستور أقره الأكراد من خلال برلمانهم المستقل .

قال لى جارى الكردى كنا نقول دائما أن«الجبال هى الصديق الوحيد للأكراد» أما الآن فإننا وجدنا صديقا أشد إخلاصا وأكثر فائدة وهم الأمريكان الذين ننظر إليهم كمحررين من النظام الديكتاتورى الذى أذاق الأكراد الويلات .

وربما يكون جورج بوش الأب أو الابن سعيد جدا عندما يعلم ذلك لأنه بالتأكيد لم يكن يهدف إلى توفير الحرية العقائدية للشيعة أو العطف والرحمة بالسنة عندما فكر فى إنهاء وجود صدام حسين وبدء عهد الديمقراطية والحرية التى قذفها فوق رؤوس العراقيين من «الإف ١٦ والبى ٥٢» وجاء المبشرون بها على أسنة فوهات المدافع يلتقطون صور الفخر والانتصار أمام الدبابات الأمريكية التى دخلوا بها إلى وطنهم المحطم تحت عنوان المنقذين.

• بلاك ليبول

بعد حوالى شهرين من دخول القوات الأمريكية إلى قلب بغداد كنت قد عدت إلى القاهرة بعد إنهاء مهمتى الأولى فى بغداد عام ٢٠٠٣ اتصل بى زميل عزيز يدعى ناصر كان يعمل مصورا تليفزيونيًا مع إحدى الوكالات الصحفية المصورة إبان فترة الغزو الأمريكى للعراق وأخبرنى بأنه يحمل لى رسالة وهدية من صديق عراقى أصر أن أوصلها لك بالقاهرة .. سعدت كثيرا بهذه المكالمة الهاتفية واتفقنا على موعد لاستلام «الأمانة» التى حرص مرسلها على أن يغلفها ويجعلها فى أجمل صورة مع رسالة بخط اليد .

وعندما عدت إلى منزلى فتحت الرسالة لأقراها وأرى تلك الهدية التى بدت من مظهرها أنها ثمينة خاصة وأن من أرسلها من ذوى الثراء فى عراق صدام حسين وما بعده .. إلا أننى صدمت من الرسالة والهدية معا حيث كتب صديقى أسامة يقول « أرسلت لك الهدية التى تليق بما صار العراق عليه من حرية وديمقراطية أتاحها الأمريكان وهى عبارة عن زجاجة ويسكى فخمة ماركة «بلاك ليبول» اعتبرها صديقى رمزا للعهد الجديد الذى جلب ما كان يحلم به أسامه ومن هم مثله فمثل هذه المشروبات الفخمة كانت محرمة تقريبا فى زمن صدام حسين مع محرمات أخرى ظهرت فى شوارع بغداد بعد يوم واحد من دخول القوات الأمريكية مثل حرية ممارسة الحب فى شوارع بغداد واحتساء الخمور فى المحال العامة خاصة بعد أن شن صدام فى أوائل التسعينيات ما أطلق عليه الحملة الإيمانية وصار هناك قانون يمنع تناول الخمور فى الأماكن العامة ولم يكن موجودا بالأسواق سوى « العرق العراقى» وبعض أنواع والبيرة والخمور الرديئة .

كان سلوك أسامة المرحب بالاحتلال الأمريكى نموذجا للشباب الواهم الذى إعتقد أن دخول القوات الأمريكية إلى عاصمة الرشيد ونهاية عهد صدام حسين يكرس لعصر جديد من الحرية المطلقة على النمط الغربى وما يشمله ذلك من

التمتع بأطباق الاستقبال « الدش» التى كانت محرمة على العراقيين وكذلك الهواتف المحمولة « الموبايل» وأجهزة اتصالات « الثريا» وغير ذلك من القشور الزائفة للعهد الجديد الذى حمل معه الكثير من الفوضى فيما بعد وهو ما أطلق عليه « الحواسم» الذين انطلقوا تحت سمع وبصر القوات الأمريكية ينهبون بغداد وانتقلت العدوى إلى مناطق أخرى ربما انتقاما من الحرمان وربما تنفيذا لمخطط محو صورة المواطن العراقى الشريف وبدء عصر جديد من الفوضى بشتى صورها وما تبع ذلك من عمليات قتل وقتل مضاد ونهب ونهب مماثل من عصابات احترفت الجريمة وأعطتها ظروف المرحلة بعدا سياسيا وأخلاقيا ضمن قيم أرساها زمن المذبحة الذى لا يمكن بأى حال من الأحوال للإدارة الأمريكية الفكاك من مسئوليتها عنه باعتبارها أحد أهم الأطراف التى أدارت المذبحة .

٣ - إسرائيل

من الأطراف التى تثير الكثير من الجدل حول طبيعة تواجدها فى العراق الجديد هى إسرائيل .. ولعل الضجيج الشديد الذى يتواكب دائما مع كل مناسبة يرد فيها إسم إسرائيل بالإضافة إلى ما يحيط محاولات كشف ذلك الأمر والتحقق منه عمليا من مخاطر بل واستحالة ذلك يجعلنا نضع إسرائيل ضمن الدول التى تدور فى فلك من يدير المذبحة بغض النظر عن كل التقارير الصحفية والتصريحات المتواترة عن قادة عراقيين وعرب حول تواجد إسرائيلى مكثف فى العراق الجديد خاصة المناطق الشمالية التى تتمتع بالحكم الذاتى / إقليم كردستان العراق / .

في يونيو /حزيران عام ٢٠٠٤ كتب الصحفي الأمريكي المعروف سيْمور هيرش في مجلة «نيويوركر» عن تنكّر إسرائيليين في شمال العراق بزيّ رجال أعمال، بهدف تنظيم عملاء أكراد يَجْمعون لهم المعلومات، تحضيراً لعملٍ إسرائيلي ـ أمريكي محتمل ضدّ إيران.. فيما تحدّثتْ صحيفة هآرتس الإسرائيلية عن شخصٍ إسرائيلي اسمُه شلومي مايكِلْز يَخْضع لتحقيقٍ إسرائيليّ رسميّ بسبب عمله في كردستان من دون ترخيصٍ من السلطات الإسرائيلية. وفي ١١ أبريل /نيسان ٢٠٠٧، كَتَبتْ لورا روزنْ عن تحقيقٍ أجرتْه طوالَ عام ٢٠٠٦ ، وتَبيّن خلالَه أن مايكلز وشريكَه داني ياتوم (رئيسَ جهاز الموساد الإسرائيلي السابق) جزءٌ من مجهودٍ كرديّ ـ غربيّ لإعطاءِ الأكراد «مزيداً من القوة في العراق» ولإعادة إحياء العلاقات الإسرائيلية «بحلفاء أكرادٍ تاريخيين»، وذلك من خلال أعمالٍ مشتركة

(إسرائيلية ــ غربية ــ كردية) تُطاوِل البنى التحتيةَ والتنميةَ الاقتصاديةَ والمشاريعَ الأمنيةَ. وقد جاء مايكِلْز (بحسب صحيفة يديعوت أحرنوت الإسرائيلية) بضبّاطٍ إسرائيليين ليدرِّبوا قواتِ الأمن الكردية على "مكافحة الإرهاب" تنظيم القاعدة وغيرها من المجموعات المسلحة في مخيّمٍ سريّ في العراق، مقابلَ "بضعةِ ملايينَ من الدولارات." لكنّ السلطات التركية (التي عَبَر الإسرائيليون بجوازاتِ سفرهم من أمامها) تنبّهتْ للأمر وأخْطرت السلطاتِ الإسرائيليةَ، فأجْرَتْ هذه الأخيرةُ تحقيقاتٍ مع مايكِلْز وغيرِه، بيْد أنّها وافقتْ عمليًا على إرسال المعدّات الدفاعية والاتصالية إلى كردستان ــ العراق من أجل "تنميةِ وجودٍ لها في المنطقة الكردية."

• وزير إسرائيلى

فى ٤ سبتمبر عام ٢٠٠٨ ألقى وزير الأمن الإسرائيلي الأسبق (آفي ديختر) محاضرة هامة حول الدور الإسرائيلي في العراق وذلك بمعهد أبحاث الأمن القومى الاسرائيلى أكد فيها أن إسرائيل حققت في العراق أكثر مما خططت وتوقعت وأن تحييد العراق عن طريق تكريس أوضاعه الحالية تشكل أهمية استراتيجية للأمن الصهيوني كما أن العراق تلاشى كقوة عسكرية وكبلد متحد، وأن خيار إسرائيل الاستراتيجي هو بقاؤه مجزءاً.. وأن ذروة أهداف إسرائيل هو دعم الأكراد بالسلاح والتدريب والشراكة الأمنية من اجل تاسيس دولة كردية مستقلة فى شمال العراق تسيطر على نفط كركوك وكردستان .

وسوف أعيد هنا نشر نص تلك المحاضرة التى تلقى الضوء حول كثير من الأمور التى تتناولها وسائل الإعلام ولا يمكن نشرها هنا بدون وثائق أو أدلة رأيت أنه من المستحيل تأمينها على الأقل حاليا .

«ليس بوسع أحد أن ينكر أننا حققنا الكثير من الأهداف على هذه الساحة بل وأكثر مما خططنا له وأعددنا فى هذا الخصوص. يجب استحضار ما كنا نريد أن نفعله وننجزه فى العراق منذ بداية تدخلنا فى الوضع العراقى منذ بداية عقد السبعينات من القرن العشرين، جل وذروة هذه الأهداف هو دعم الأكراد لكونهم جماعة أثنية مضطهدة من حقها أن تقرر مصيرها بالتمتع بالحرية شأنها شأن أى شعب.

فى البداية كان المخططون فى الدولة وعلى رأسهم « أورى ليبرانى « المستشار

الأسبق لرئيس الوزراء ثم سفيرنا فى تركيا وأثيوبيا وإيران قد حدد إطار وفحوى الدعم الإسرائيلى للأكراد. هذا الدعم كان فى البداية متواضعا، دعم سياسى و إثارة قضية الأكراد وطرحها فوق المنابر. لم يكن بوسع الأكراد أن يتولوها فى الولايات المتحدة وفى أوروبا وحتى داخل بعض دول أوروبا. وكان دعمًا ماديًا أيضا ولكنه محدود.

التحول الهام بدأ عام ١٩٧٢. هذا الدعم اتخذ أبعادا أخرى أمنية، مد الأكراد بالسلاح عبر تركيا وإيران واستقبال مجموعات كردية لتلقى التدريب فى إسرائيل بل وفى تركيا وإيران.

هكذا أصبح هذا الدعم المحرك لتطور مستوى العلاقات الاستراتيجية بين إسرائيل والأكراد، وكان من المنتظر أن تكون له نتائج مهمة لولا أن ايران الشاه والعراق توصلا إلى صفقة فى الجزائر عام ١٩٧٥، هذه الصفقة وجهت ضربة قوية إلى الطموح الكردى. لكن وفق شهادات قيادات إسرائيلية ظلت على علاقة بزعيم الأكراد مصطفى البرزانى. الأكراد لم يتملكهم اليأس، على العكس ظلوا أكثر إصرارا على الاستمرار فى صراعهم ضد السلطة فى بغداد.

بعد انهيار المقاومة الكردية كنتيجة للاتفاق مع إيران توزعت قياداتهم على تركيا وسوريا وإسرائيل.. إسرائيل وانطلاقا من التزام أدبى وأخلاقى كان من واجبها أن تظل إلى جانب الأكراد وتأخذ بأيديهم إلى أن يبلغوا الهدف القومى الذي حددوه، تحقيق الحكم الذاتى فى المرحلة الأولى ومرحلة الاستقلال الناجز بعد ذلك.

لن أطيل فى حديثى عن الماضى، يجب أن ينصب حديثى على أن ما تحقق فى العراق فاق ما كان عقلنا الاستراتيجى يتخيله.

الآن فى العراق دولة كردية فعلا، هذه الدولة تتمتع بكل مقومات الدولة أرض شعب دولة وسلطة وجيش واقتصاد ريعى نفطى واعد، هذه الدولة تتطلع إلى أن تكون حدودها ليست داخل منطقة كردستان، بل ضم شمال العراق بأكمله، مدينة كركوك فى المرحلة الأولى ثم الموصل وربما محافظة صلاح الدين إلى جانب جلولاء وخانقين(ضمن محافظة ديالى المحاذية لإيران).

الأكراد حسب ما لمسناه خلال لقاءات مع مسؤولين إسرائيليين لايدعون مناسبة دون أن يشيدوا بنا وذكروا دعمنا ويثمنوا مواقفنا والانتصار الذي حققوه فى العراق فاق قدرتهم على استيعابه.

وبالنسبة لنا لم تكن أهدافنا تتجاوز دعم المشروع القومى الكردى لينتج كيانا

كرديا أو دولة كردية.. لم يدر بخلدنا لحظة أن تتحقق دفعة واحدة مجموعة أهداف نتيجة للحرب التى شنتها الولايات المتحدة وأسفرت عن احتلاله.. العراق الذي ظل فى منظورنا الاستراتيجى التحدى الأخطر بعد أن تحول إلى قوة عسكرية هائلة، فجأة العراق يتلاشى كدولة وكقوة عسكرية بل وكبلد واحد متحد، العراق يقسم جغرافيا وانقسم سكانيا وشهد حربا أهلية شرسة ومدمرة أودت بحياة بضع مئات الألوف.

إذا رصدنا الأوضاع فى العراق منذ عام ٢٠٠٣ فإننا سنجد أنفسنا أمام أكثر من مشهد :

١. العراق منقسم على أرض الواقع إلى ثلاثة كيانات أو أقاليم رغم وجود حكومة مركزية.

٢. العراق ما زال عرضة لاندلاع جولات جديدة من الحروب والاقتتال الداخلى بين الشيعة والسنة وبين العرب والأكراد.

٣. العراق بأوضاعه الأمنية والسياسية والاقتصادية لن يسترد وضعه ما قبل ٢٠٠٣.

نحن لم نكن بعيدين عن التطورات فوق هذه المساحة منذ عام ٢٠٠٣، هدفنا الاستراتيجى مازال عدم السماح لهذا البلد أن يعود إلى ممارسة دور عربى وإقليمى لأننا نحن أول المتضررين.

سيظل صراعنا على هذه الساحة فاعلا طالما بقيت القوات الأمريكية التى توفر لنا مظلة وفرصة لكى تحبط أية سياقات لعودة العراق إلى سابق قوته ووحدته.

نحن نستخدم كل الوسائل غير المرئية على الصعيد السياسى والأمني.

نريد أن نخلق ضمانات وكوابح ليس فى شمال العراق بل فى العاصمة بغداد. نحن نحاول أن ننسج علاقات مع بعض النخب السياسية والاقتصادية حتى تبقى بالنسبة لنا ضمانة لبقاء العراق خارج دائرة الدول العربية التى هى فى حالة حرب مع إسرائيل، العراق حتى عام ٢٠٠٣ كان فى حالة حرب مع إسرائيل.. وكان يعتبر الحرب مع إسرائيل من أوجب واجباته.

إسرائيل كانت تواجه تحديا استراتيجيا حقيقيا فى العراق، رغم حربه مع ايران لمدة ثمانية أعوام واصل العراق تطوير وتعزيز قدراته التقليدية والإستراتيجية بما فيها سعيه لحيازة سلاح نووى.

هذا الوضع لا يجب أن يتكرر نحن نتفاوض مع الأمريكان من أجل ذلك، من أجل قطع الطريق أمام عودة العراق ليكون دولة مواجهة مع اسرائيل.

الإدارة الأمريكية حريصة على ضمان مصالحنا وعلى توفير هذه الضمانات عبر وسائل مختلفة.

١. بقاء القوات الأمريكية فى العراق لفترة لا تقل عن عقد إلى عقدين حتى فى حالة فوز باراك أوباما الذي يحبذ سحب القوات الأمريكية .

٢. الحرص على أن تشمل الاتفاقية الأمنية بين الولايات المتحدة والحكومة العراقية أكثر من بند يضمن تحييد العراق فى النزاع مع إسرائيل وعدم السماح له بالانضمام إلى أية تحالفات أو منظومات أو الالتزام بمواثيق تتأسس على العداء ضد إسرائيل كمعاهدة الدفاع العربى المشترك أو الاشتراك فى أى عمل عدائى ضد إسرائيل إذا ما نشبت حرب فى المنطقة مع سوريا أو لبنان أو إيران.

إلى جانب هذه الضمانات هناك أيضا جهود وخطوات نتخذها نحن بشكل منفرد لتأمين ضمانات قوية لقطع الطريق على عودة العراق إلى موقع الخصم. استمرار الوضع الحالى فى العراق ودعم الأكراد فى شمال العراق ككيان سياسى قائم بذاته، يعطى ضمانات قوية ومهمة للأمن القومى الإسرائيلى على المدى المنظور على الأقل.

نحن نعمل على تطوير شراكة أمنية واستراتيجية مع القيادة الكردية رغم أن ذلك قد يثير غضب تركيا الدولة الصديقة. نحن لم ندخر جهدا فى سبيل إقناع الزعامة التركية وعلى الأخص رجب أردوغان وعبد الله جول بل والقادة العسكريين أن دعمنا للأكراد فى العراق لا يمس وضع الأكراد فى تركيا.

أوضحنا هذا أيضا للقيادة الكردية وحذرناها من مغبة الاحتكاك بتركيا أو دعم أكراد تركيا بأى شكل من أشكال الدعم، أكدنا لهم أن الشراكة مع إسرائيل يجب أن لا تضر بالعلاقة مع تركيا وأن ميدان هذه الشراكة هو العراق فى الوقت الحالى، وقد يتسع المستقبل لكن شريطة أن يتجه هذا الأتساع نحو سوريا وإيران.

مواجهة التحديات الاستراتيجية فى البيئة الإقليمية يحتم علينا أن لا نغمض العين عن تطورات الساحة العراقية وملاحقتها، لا بالوقوف متفرجين بل فى المساهمة بدور كى لا تكون تفاعلاتها ضارة ومفاقمة للتحديات.

تحييد العراق عن طريق تكريس أوضاعه الحالية ليس أقل أهمية وحيوية عن تكريس وإدامة تحييد مصر، تحييد مصر تحقق بوسائل دبلوماسية لكن تحييد العراق يتطلب استخدام كل الوسائل المتاحة وغير المتاحة حتى يكون التحييد شاملا كاملا.

لا يمكن الحديث عن استخدام خيار القوة لأن هذا الشرط غير قائم بالنسبة

للعراق. ولأن هذا الخيار مارسته القوة الأعظم فى العالم، الولايات المتحدة، وحققت نتائج تفوق كل تصور، كان من المستحيل على إسرائيل أن تحققه إلا بوسيلة واحدة وهى استخدام عناصر القوة بحوزتها بما فيها السلاح النووى.

تحليلنا النهائى أن العراق يجب أن يبقى مجزأً ومنقسما ومعزولا داخليا بعيدا عن البيئة الإقليمية، هذا هو خيارانا الاستراتيجى. ومن أجل تحقيقه سنواظب على استخدام الخيارات التى تكرس هذا الوضع، دولة كردية فى العراق تهيمن على مصادر انتاج النفط فى كركوك وكردستان

هناك التزام من القيادة الكردية بإعادة تشغيل خط النفط من كركوك عبر الأردن وقد جرت مفاوضات أولية مع الأردن وتم التوصل إلى اتفاق مع القيادة الكردية، وإذا ما تراجع الأردن فهناك البديل التركى أى مد خط كركوك ومناطق الإنتاج الأخرى فى كردستان تتم إلى تركيا وإسرائيل، أجرينا دراسات لمخطط أنابيب للمياه والنفط مع تركيا ومن تركيا إلى إسرائيل.

المعادلة الحاكمة فى حركتنا الاستراتيجية فى البيئة العراقية تنطلق من مزيد من تقويض حزمة القدرات العربية فى دولها الرئيسية من أجل تحقيق المزيد من الأمن القومى لإسرائيل.

• خبير مصرى

فى يوم الأربعاء ٩ أبريل عام ٢٠٠٨ كشف الدكتور طارق فهمي الخبير الإستراتيجي في المركز القومي لدراسات الشرق الأوسط عن وجود إسرائيلي مكثف في العراق، حيث تشارك إسرائيل بشكل كبير في «إعمار» ما يسمى بالعراق الجديد.

وطرح فهمى ثلاثة سيناريوهات تحدد شكل العلاقة بين إسرائيل والعراق في المستقبل القريب.

وقال في ندوة بعنوان «خمس سنوات على الاحتلال الأمريكي للعراق.. الآفاق والمستقبل» : «هناك وجود إسرائيلي مكثف في العراق

على عكس ما يصوره الإعلام العربي، فالإسرائيليون موجودون في كل المؤسسات والشركات من خلال الاستثمارات».

وأضاف فهمي في مداخلته بالندوة التي عقدت بمناسبة الذكرى الخامسة لدخول القوات الأمريكية إلى قلب بغداد وسقوط نظام صدام حسين أن إسرائيل تتحرك وكأنها الحاضر الرئيسي في العراق وفي مقدمة الأحداث وليست في خلفيتها».

واستند الدكتور فهمي في كلمته إلى دراسة أجرتها وزارة المالية الإسرائيلية

ووزارات أخرى قالت: أن الحكومة الإسرائيلية لها استثمارات في إعمار ما يسمى العراق الجديد؛ وهو ما يعطي الفرصة لإسرائيل لإرساء تجارة تحقق منها أرباحا كثيرة.

وأشار إلى أن دخول إسرائيل مجال الأراضي والعقارات في العراق هو أحد المحاور التي تسعى إسرائيل من خلالها لفرض نفوذها داخل البلاد.

ولتنفيذ هذا المخطط، أوضح الخبير الإستراتيجي أن إسرائيل تعمل على توظيف رأس المال اليهودي لشراء الأراضي في شمال العراق وتسمح بتسهيلات كبيرة في إعطاء القروض لبعض العراقيين وخاصة الأكراد.

٣ سيناريوهات

وطرح الدكتور فهمي ثلاثة سيناريوهات للتعامل بين إسرائيل والعراق في المستقبل القريب:

- **السيناريو الأول:** هو أن تدخل إسرائيل في علاقات دبلوماسية كاملة مع النظام العراقي الحالي برغم تأكيد الرئيس العراقي جلال طالباني عدم وجود علاقات قريبة سوف تحدث بين الجانبين.

- **السيناريو الثاني:** أن تدخل إسرائيل والعراق في علاقات ثلاثية (الولايات المتحدة- إسرائيل- العراق) وربما تدخل الأردن في علاقة دبلوماسية معهم.

- **السيناريو الثالث:** تأجيل خطوة العلاقات الدبلوماسية بين الجانبين وتكوين علاقات غير رسمية على كل المستويات.

ويرجح الدكتور فهمي حدوث السيناريو الثالث؛ وهو ما يؤكده القادة العراقيون فيما يتعلق بالدخول في علاقات غير رسمية مع الجانب الإسرائيلي.

ووفقاً لمصادر أمريكية فهناك حوالي ٢١٠ شركات إسرائيلية تعمل في العراق حتى الآن في مجالات كثيرة منها السياحة والبترول والمنسوجات والإلكترونيات والمياه المعدنية والهواتف.

وحسب تقرير إستراتيجي صادر عن مركز «جافي» في الجامعة العبرية، فإن الإسرائيليين يطمحون في أن يقوم الأمريكان ببناء قاعدة عسكرية لهم في صحراء العراق وهو ما يسمح لإسرائيل لاحقاً بالتواجد العسكري هناك.

عراق إسرائيل

وأكد فهمي على أن هناك إجماعا وطنيا في إسرائيل على أن تقسيم العراق هو الحل الأمثل لحل أزمته. وأوضح أن إسرائيل كلفت وزارة الدفاع منذ أربعة أشهر

بإعداد دراسة شارك فيها ٦ أجهزة أمنية والعديد من الجنرالات في الجيش الإسرائيلي انتهت إلى أن الوضع الراهن في العراق هو أفضل الآن والحل هو تقسيمه.

وأشار فهمي إلى أن المناورات التي تجريها إسرائيل هذه الأيام تضع في اعتبارها عراقا مفتتا لتفرض سيطرتها عليه.

وأقر «مؤتمر الدولة العبرية» الذي يعقد في شهر يناير من كل عام في دورته الأخيرة بأن «العراق المقبل هو عراق إسرائيل».

• إسرائيل وإيران

كثيرة هى المقالات والكتب التى تتناول العلاقة بين إسرائيل وإيران خاصة تلك التى تؤكد مدى قوة تلك العلاقة ضمن ثالوث «طهران – واشنطن- تل أبيب» رغم كل ما تتناقله وسائل الإعلام من صراع معلن وتهديدات عالية الصوت من الأطراف الثلاثة ضد بعضها إلا أن كتاب (التحالف الغادر: التعاملات السريّة بين إسرائيل و إيران و الولايات المتّحدة الأمريكية) للكاتب «تريتا بارسي» وهو أستاذ في العلاقات الدولية بجامعة «جون هوبكينز»يعتبر من أهم الكتب التى تكشف بجلاء طبيعة العلاقات الوطيدة والمصالح المشتركة التى تسير عبر محور «طهران- تل أبيب » .

وتأتى دراسة «بارسى» الذى ولد في إيران و نشأ في السويد و حصل على شهادة الماجستير في العلاقات الدولية ثم على شهادة ماجستير ثانية في الاقتصاد من جامعة «ستكوهولم» لينال فيما بعد شهادة الدكتوراة في العلاقات الدولية من جامعة «جون هوبكينز» في رسالة عن العلاقات الإيرانية-الإسرائيلية لتؤكد أنه تمّ إرسال العرض الإيراني أو الوثيقة السريّة إلى واشنطن. لقد عرض الاقتراح الإيراني السرّي مجموعة مثيرة من التنازلات السياسية التي ستقوم بها إيران في حال تمّت الموافقة على «الصفقة الكبرى» و هو يتناول عددا من المواضيع منها: برنامجها النووي، سياستها تجاه إسرائيل، و محاربة القاعدة. كما عرضت الوثيقة إنشاء ثلاث مجموعات عمل مشتركة أمريكية-إيرانية بالتوازي للتفاوض على «خارطة طريق» بخصوص ثلاث مواضيع: «أسلحة الدمار الشامل»، «الإرهاب و الأمن الإقليمي»، «التعاون الاقتصادي».

«وكتاب التحالف الغادر: التعاملات السريّة بين إسرائيل و إيران و الولايات المتّحدة الأمريكية» ليس عنوانا لمقال لأحد المهووسين بنظرية المؤامرة من العرب، و

هو بالتأكيد ليس بحثا أو تقريرا لمن يحب أن يسميهم البعض «الوهـابيين» أو أن يتّهمهم بذلك، لمجرد عرضه للعلاقة بين إسرائيل و إيران و أمريكـا و للمصـالح المتبادلة بينهم و للعلاقات الخفيّة بل إنه الكتاب الأكثر أهمية على الإطلاق مـن حيث الموضوع و طبيعة المعلومات الواردة فيه و الأسرار التي يكشف بعضـها للمـرة الأولى و أيضا في توقيت و سياق الأحداث المتسارعه في الشـرق الأوسـط و وسـط الأزمة النووية الإيرانية مع الولايات المتّحدة.

وتأتي أهمية هذا الكتاب الذى لم تتم ترجمته حتى الآن إلى العربية من خـلال كم المعلومات الدقيقة و التي يكشف عن بعضها للمرة الأولى، إضافة إلى كشـف الكاتب لطبيعة العلاقات و الاتصالات التي تجري بين هذه البلدان (إسرائيل- إيران – أمريكا) خلف الكواليس شارحا الآليات و طرق الاتصال و التواصل فيما بينهم في سبيل تحقيق المصلحة المشتركة التي لا تعكسها الشعارات و الخطابات و السجالات الإعلامية الشعبوية و الموجّهة.

كما يكتسب الكتاب الذى قدمت بعض المواقع الإليكترونية عروضا لمحتواه على شبكة الإنترنت أهميته من خلال المصداقية التي يتمتّع بها الخـبير في السياسـة الخارجية الأمريكية «تريتا بارسي». فعدا عن كونه أسـتاذا أكاديميـا، يـرأس «بارسي» المجلس القومي الإيرانى-الأمريكي، و له العديد من الكتابات حول الشرق الأوسط، و هو خبير في السياسة الخارجية الأمريكية، و هـو الكاتـب الأمريكـي الوحيد تقريبا الذي استطاع الوصول إلى صنّاع القرار (على مسـتوى متعـدد) في البلدان الثلاث أمريكا، إسرائيل و إيران.

يستند الكتاب إلى أكثر من ١٣٠ مقابلة مع مسؤولين رسمـيين إسـرائيليين، إيرانيين و أمريكيين رفيعي المستوى و من أصحاب صُنّاع القرار في بلدانهم. إضافة إلى العديد من الوثاق و التحليلات و المعلومات المعتبرة و الخاصة.

و يعالج «تريتا بارسي» في هذا الكتاب العلاقة الثلاثية بين كل من إسرائيل، إيران و أمريكا لينفذ من خلالها إلى شرح الآلية التي تتواصل من خلالها حكومات الـدول الثلاث و تصل من خلال الصفقات السريّة و التعاملات غـير العلنيـة إلى تحقيـق مصالحها على الرغم من الخطاب الإعلامي الاستهلاكي للعداء الظاهر فيما بينها في إطار اللعبة السياسية التي تتّبعها هذه الأطراف الـثلاث، و يعـرض بارسـي في تفسير العلاقة الثلاثية لوجهتي نظر متداخلتين في فحصه للموقف بينهم:

أولا: الاختلاف بين الخطاب الاستهلاكي العام و الشـعبوي (أي مـا يسـمى الأيديولوجيا هنا)، و بين المحادثات و الاتفاقات السريّة الـتي يجريهـا الأطـراف

الثلاث غالبا مع بعضهم البعض (أي ما يمكن تسميه الجيو-استراتيجيا هنا).

ثانيا: يشير إلى الاختلافات في التصورات والتوجهات استنادا إلى المعطيات الجيو-ستراتيجية التي تعود إلى زمن معين و وقت معين. ليكون الناتج محصلة في النهاية لوجهات النظر المتعارضة بين «الأيديولوجية» و «الجيو-ستراتيجية»، مع الأخذ بعين الاعتبار أن المحرّك الأساسي للأحداث يكمن في العامل «الجيو-ستراتيجي» وليس «الأيديولوجي» الذي يعتبر مجرّد وسيلة أو رافعة.

بمعنى ابسط، يعتقد بارسي أن العلاقة بين المثلث الإسرائيلي- الإيراني – الأمريكي تقوم على المصالح و التنافس الإقليمي و الجيو-استراتيجي و ليس على الأيديولوجيا و الخطابات و الشعارات التعبوية الحماسية...الخ.

و في إطار المشهد الثلاثي لهذه الدول، تعتمد إسرائيل في نظرتها إلى إيران على «عقيدة الطرف» الذي يكون بعيدا عن المحور، فيما تعتمد إيران على المحافظة على قوّة الاعتماد على «العصر السابق» أو التاريخ حين كانت الهيمنة «الطبيعية» لإيران تمتد لتطال الجيران القريبين منها.

و بين هذا و ذاك يأتي دور اللاعب الأمريكي الذي يتلاعب بهذا المشهد و يتم التلاعب به أيضا خلال مسيرته للوصول إلى أهدافه الخاصّة و المتغيّرة تباعا.

و استنادا إلى الكتاب، وعلى عكس التفكير السائد، فإن إيران و إسرائيل ليستا في صراع أيديولوجي بقدر ما هو نزاع استراتيجي قابل للحل. يشرح الكتاب هذه المتولة و يكشف الكثير من التعاملات الإيرانية – الإسرائيلية السريّة التي تجري خلف الكواليس و التي لم يتم كشفها من قبل. كما يؤكد الكتاب في سياقه التحليلي إلى أن أحداً من الطرفين (إسرائيل و إيران) لم يستخدم أو يطبّق خطاباته النارية، فالخطابات في واد و التصرفات في واد آخر معاكس.

ووفقا لبارسي، فإنّ إيران الثيوقراطية ليست «خصما لا عقلانيا» للولايات المتّحدة و إسرائيل كما كان الحال بالنسبة للعراق بقيادة صدّام و أفغانستان بقيادة الطالبان. فطهران تعمد إلى تقليد «اللاعقلانيين» من خلال الشعارات و الخطابات الاستهلاكية و ذلك كرافعة سياسية و تموضع ديبلوماسي فقط. فهي تستخدم التصريحات الاستفزازية و لكنها لا تتصرف بناءاً عليها بأسلوب متهور و أرعن من شانه أن يزعزع نظامها. و عليه فيمكن توقع تحركات إيران و هي ضمن هذا المنظور لا تشكّل «خطرا لا يمكن احتواؤه» عبر الطرق التقليدية الدبلوماسية.

و إذا ما تجاوزنا القشور السطحية التي تظهر من خلال المهاترات و التراشقات

الإعلامية و الدعائية بين إيران و إسرائيل، فإننا سنرى تشابها مثيرا بين الدولتين في العديد من المحاور بحيث أننا سنجد أن ما يجمعهما أكبر بكثير مما يفرقهما.

كلتا الدولتين تميلان إلى تقديم أنفسهما على أنّهما متفوقتين على جيرانهم العرب. إذ ينظر العديد من الإيرانيين إلى أن جيرانهم العرب في الغرب و الجنوب باعتبارهم أقل منهم شأنا من الناحية الثقافية و التاريخية و في مستوى دوني. و يعتبرون أن الوجود الفارسي على تخومهم ساعد في تحضّرهم و تمدّنهم و لولاه لما كان لهم شأن يذكر.

في المقابل، يرى الإسرائيليون أنّهم متفوقين على العرب بدليل أنّهم انتصروا عليهم في حروب كثيرة، و يقول أحد المسؤولين الإسرائيليين في هذا المجال لبارسي «إننا نعرف ما باستطاعة العرب فعله، و هو ليس بالشيء الكبير» في إشارة إلى استهزائه بقدرتهم على فعل شي حيال الأمور.

و يشير الكتاب إلى أننا إذا ما أمعنّا النظر في الوضع الجيو-سياسي الذي تعيشه كل من إيران و إسرائيل ضمن المحيط العربي، سنلاحظ أنهما يلتقيان أيضا حاليا في نظرية «لا حرب، لا سلام». الإسرائيليون لا يستطيعون إجبار أنفسهم على عقد سلام دائم مع من يظنون أنهم اقل منهم شأنا و لا يريدون أيضا خوض حروب طالما أن الوضع لصالحهم، لذلك فان نظرية «لا حرب، لا سلام» هي السائدة في المنظور الإسرائيلي. في المقابل، فقد توصّل الإيرانيون إلى هذا المفهوم من قبل، واعتبروا أن «العرب يريدون النيل منّا».

استنادا إلى «بارسي»، فإن السلام بين إسرائيل و العرب يضرب مصالح إيران الإستراتيجية في العمق في هذه المنطقة و يبعد الأطراف العربية عنها و لاسيما سوريا، مما يؤدي إلى عزلها استراتيجيا. ليس هذا فقط، بل أن التوصل إلى تسوية سياسية في المنطقة سيؤدي إلى زيادة النفوذ الأمريكي و القوات العسكرية و هو أمر لا تحبّذه طهران.

و يؤكّد الكاتب في هذا السياق أن أحد أسباب «انسحاب إسرائيل من جنوب لبنان في العام ٢٠٠٠» هو أن إسرائيل أرادت تقويض التأثير و الفعالية الإيرانية في عملية السلام من خلال تجريد حزب الله من شرعيته كمنظمة مقاومة بعد أن يكون الانسحاب الإسرائيلي قد تمّ من لبنان.

و يكشف الكتاب من ضمن ما يكشف أيضا من وثائق و معلومات سرية جدا و موثقة فيه، أن المسؤولين الرسميين الإيرانيين وجدوا أن الفرصة الوحيدة لكسب الإدارة الأمريكية تكمن في تقديم مساعدة أكبر وأهم لها في غزو العراق العام ٢٠٠٣ عبر

الاستجابة لما تحتاجه، مقابل ما ستطلبه إيران منها، على أمل أن يؤدي ذلك إلى عقد صفقة متكاملة تعود العلاقات الطبيعية بموجبها بين البلدين و تنتهي مخاوف الطرفين.

و بينما كان الأمريكيون يغزون العراق في أبريل /نيسان من العام ٢٠٠٣، كانت إيران تعمل على إعداد «اقتراح» جريء و متكامل يتضمن جميع المواضيع المهمة ليكون أساسا لعقد «صفقة كبيرة» مع الأمريكيين عند التفاوض عليه في حل النزاع الأمريكي-الإيراني.

تمّ إرسال العرض الإيراني أو الوثيقة السريّة إلى واشنطن. لقد عرض الاقتراح الإيراني السرّي مجموعة مثيرة من التنازلات السياسية التي ستقوم بها إيران في حال تمّت الموافقة على «الصفقة الكبرى» و هو يتناول عددا من المواضيع منها: برنامجها النووي، سياستها تجاه إسرائيل، و محاربة القاعدة. كما عرضت الوثيقة إنشاء ثلاث مجموعات عمل مشتركة أمريكية-إيرانية بالتوازي للتفاوض على «خارطة طريق» بخصوص ثلاث مواضيع: «أسلحة الدمار الشامل»، «الإرهاب و الأمن الإقليمي»، «التعاون الاقتصادي».

وفقا لـ«بارسي»، فإنّ هذه الورقة هي مجرّد ملخّص لعرض تفاوضي إيراني أكثر تفصيلا كان قد علم به في العام ٢٠٠٣ عبر وسيط سويسري (تيم غولدمان) نقله إلى وزارة الخارجية الأمريكية بعد تلقّيه من السفارة السويسرية أواخر نيسان / أوائل أيار من العام ٢٠٠٣.

هذا و تضمّنت الوثيقة السريّة الإيرانية لعام ٢٠٠٣ و التي مرّت بمراحل عديدة منذ ١١ أيلول ٢٠٠١ ما يلي:

١- عرض إيران استخدام نفوذها في العراق لـ (تحقيق الأمن و الاستقرار، إنشاء مؤسسات ديمقراطية، و حكومة غير دينية).

٢- عرض إيران (شفافية كاملة) لتوفير الاطمئنان و التأكيد بأنّها لا تطوّر أسلحة دمار شامل، و الالتزام بما تطلبه الوكالة الدولية للطاقة الذرية بشكل كامل و دون قيود.

٣- عرض إيران إيقاف دعمها للمجموعات الفلسطينية المعارضة و الضغط عليها لإيقاف عملياتها العنيفة ضدّ المدنيين الإسرائيليين داخل حدود إسرائيل العام ١٩٦٧.

٤- التزام إيران بتحويل حزب الله اللبناني إلى حزب سياسي منخرط بشكل كامل في الإطار اللبناني.

٥- قبول إيران بإعلان المبادرة العربية التي طرحت في قمّة بيروت عام ٢٠٠٢، أو ما يسمى «طرح الدولتين» و التي تنص على إقامة دولتين و القبول بعلاقات طبيعية و سلام مع إسرائيل مقابل انسحاب إسرائيل إلى ما بعد حدود ١٩٦٧.

المناجأة الكبرى في هذا العرض كانت تتمثل باستعداد إيران تقديم اعترافها بإسرائيل كدولة شرعية!! لقد سبّب ذلك إحراجا كبيرا لجماعة المحافظين الجدد و الصقور الذين كانوا يناورون على مسألة «تدمير إيران لإسرائيل» و «محوها عن الخريطة».

ينقل «بارسي» في كتابه أن الإدارة الأمريكية المتمثلة بنائب الرئيس الأمريكي ديك تشيني و وزير الدفاع آنذاك دونالد رامسفيلد كانا وراء تعطيل هذا الاقتراح و رفضه على اعتبار «أننا (أي الإدارة الأمريكية) نرفض التحدّث إلى محور الشر». بل أن هذه الإدارة قامت بتوبيخ الوسيط السويسري الذي قام بنقل الرسالة.

و يشير الكتاب أيضا إلى أن إيران حاولت مرّات عديدة التقرب من الولايات المتّحدة لكن إسرائيل كانت تعطّل هذه المساعي دوما خوفا من أن تكون هذه العلاقة على حسابها في المنطقة.

ومن المفارقات الذي يذكرها الكاتب أيضا أن اللوبي الإسرائيلي في أمريكا كان من أوائل الذي نصحوا الإدارة الأمريكية في بداية الثمانينيات بأن لا تأخذ التصريحات و الشعارات الإيرانية المرفوعة بعين الاعتبار لأنها ظاهرة صوتية لا تأثير لها في السياسة الإيرانية.

٤ - الأكراد

فى تقرير «سرى وشخصى « تمكنت من الحصول عليه عن الوضع الأمنى فى محافظة نينوى وعاصمتها مدينة الموصل / ٤٠٠ كم شمال بغداد/ نهاية العام ٢٠٠٨ جاء الدور الكردى المريب فى المحافظة مترامية الأطراف كأحد أهم أسباب التدهور الأمنى .. حيث أكد التقرير أن مطامع الجانب الكردى واستغلال الساحل الأيسر من المدينة الذى ترتبط حدوده الشرقية والشمالية مع محافظتى أربيل ودهوك وذلك بفتح ونشر مقرات للأحزاب الكردية فى البنايات الحكومية المحمية من قبل قوات حرس إقليم كردستان» البيشمركه» بما لا يتناسب مع نسبة الأكراد فى المحافظة التى يقطنها خليط من العرب والتركمان والشبك والمسيحين الأمر الذى جعل هذه المقرات أوكارا لدعم الإرهاب وجمع المعلومات عن كبار الشخصيات وأساتذة الجامعات وكبار الضباط وتصفية عدد كبير منهم وكذلك إرهاب السكان

والسيطرة على مداخل مدينة الموصل من الجانب الشمالى والشرقى بنقاط تفتيش « سيطرات» عناصرها من الأكراد مما يسهل لمجاميعهم الدخول والخروج والعمل بحرية كاملة .

وأوضح التقرير أنه يجرى تبديل عناصر حمايات المقرات للأحزاب الكردية كل أسبوعين وهو ما أدى إلى حدوث حالات سرقة سيارات كثيرة فى الساحل الأيسر من المدينة .. كما تمت السيطرة على الأقضية والنواحى التابعة للمحافظة مثل « تلكيف والشيخان ومخمور وسنجار » ورفع الأعلام الكردية على كل الدوائر الحكومية .

ونبه التقرير إلى أن منتسبى الجيش العراقى من الأكراد فى محافظة نينوى يعملون لصالح أجندات سياسية بالاضافة إلى إستفزاز المواطنين والقيام بمداهمات واعتقالات عشوائية إستهدفت المواطنين الأبرياء والمثقفين من أهالى الموصل ولم يعرف مصير غالبية هؤلاء المعتقلين .

وتبع هذا التقرير تقرير آخر عام ٢٠٠٩ أكد قيام الأكراد فى قضاء سنجار بفتح باب التطوع للقوات الخاصة التابعة لاقليم كردستان من الطائفة الأيزيدية برواتب تصل إلى ٣ ملايين دينار عراقى شهريا / حوالى ٢٥٠٠ دولار/ الهدف منها مضايقة العرب الموجودين فى القضاء والمناطق الأخرى .

كما أشار التقرير إلى أعتقال مجموعة إرهابية تقوم بزرع العبوات الناسفة بالقرب من مركز التنسيق المشترك وفندق نينوى إعترفوا بانتمائهم إلى تنظيم دولة العراق الإسلامية ويمولهم شخص يدعى « أبو زمن» موجود بأحد مقرات الأحزاب الكردية فى منطقة المجموعة الثقافية .. حيث أكد التقرير تسجيل حالات كثيرة مماثلة منسوبة للأحزاب الكردية التى تشجع الإرهاب ضمن مدينة الموصل لوجود أطماع توسعية لدى الجانب الكردى .

وإذا كان هذا التقريران الرسميان يؤكدان طبيعة الدور الكردى فى الأزمة العراقية كون الأكراد أحد الأطراف التى تدير المذبحة فإن الحديث يطول عن الخطط الكردية لتوسيع إقليم كردستان المتمتع بالحكم الذاتى شمال العراق بضم ما يطلق عليه الأكراد « المناطق المستقطعة» وعلى رأسها كركوك الغنية بالنفط وهو ما ورد فيما تم تسويقه إعلاميا على أنه دستور إقليم كردستان عام ٢٠٠٩ وأثار الكثير من الجدل حينها مما دفع بالمسئولين الأكراد إلى التقليل من شأن هذا الإعلان ومحاولة تهدئة مخاوف العراق ودول الجوار مما ورد فيه من معلومات تشى بحجم المطامع الكردية .

والمعروف أن مقرات الفيلق الخامس بالجيش العراقى السابق كانت موجودة

بكافة معداتها وأسلحتها فى الموصل ولم تتضرر كثيرا خلال الغزو الأمريكى لأنها لم تدخل مواجهة مباشرة مع الأمريكان ، تمت السيطرة عليها من قبل القوات الكردية « البيشمركة» بعد السيطرة على المحافظة فى نيسان / أبريل ٢٠٠٣ والحقيقة أننى حاولت زيارة إقليم كردستان أكثر من مرة بطريق رسمى بصفتى مدير مكتب وكالة الأنباء الرسمية المصرية بالعراق للوقوف على حقيقة ما يجرى داخل كردستان وإبراز بعض الجوانب الإيجابية بما فى ذلك حركة الإعمار الجارية على قدم وساق داخل الإقليم برؤوس أموال عربية وأجنبية نظرا لحالة الاستقرار الأمني التى يتمتع بها الإقليم .. إلا أن تلك المحاولات فشلت بسبب عدم ترحيب المسئولين الأكراد بالأمر وذلك عكس ما يعلنونه دائما من أنهم يريدون التواصل مع الجانب العربى بل أنهم عرضوا استضافة القمة العربية فى أربيل عاصمة إقليم كردستان بدلا من بغداد إلا أن هذا الأمر إذا تم فإنه يكرس لحالة الانفصال التى يعمل الأكراد على تثبيتها بكافة الطرق[1] .

كما أننى علمت بطريقة الدخول إلى أقليم كردستان الذى يتطلب حصول المواطن العراقى على كفيل أما بالنسبة للصحفيين فإن الأمر يتطلب موافقات أمنية عبر قائمة طويلة من المراجعات والتوقيع على إقرارات والحصول على بصمة العين وغير ها من الإجراءات الأمنية المشددة مما يعطى انطباعا بأن الشخص قد دخل حدود دولة أخرى وليس أرضا عراقية وفى تصورى أن هذه القضية تحتاج إلى كتاب منفصل يتناول الحالة الكردية بكل تعقيداتها ومفاصلها وسوف أكتفى فى هذا الجزء من الكتاب بعرض دراسة مهمة للباحث الامريكي مايكل رويين تحت عنوان(هل كردستان العراق حليف جيد؟)،نشرها معهد أمريكان انتربرايز في ١٣ أغسطس/ آب ٢٠٠٨ تحلل التجربة السياسية في كردستان،ونتائج الأخطاء التي ارتكبتها القيادات الكردية على الوضع في العراق ودول الجوار وتأثيرها على تحالفات الولايات المتحدة مع حلفائها الاستراتيجيين في المنطقة

• ملخص الدراسة

يمكننا أن نتفهم الدعم الأمريكي لكردستان العراق من منطلق عاطفي بحت،

(١) وفقًا لمقررات القمة العربية فإنه من المفروض انعقاد القمة القادمة في العراق خلال مارس ٢٠١١ ونظرًا لعدم اكتمال الاستعدادات وعدم استمرار الاستقرار الأمني فإن الأكراد يرجون لفكرة عقدة القمة في أربيل عاصمة كردستان .

ففي أعقاب الحرب العالمية الأولى أضاع الأكراد فرصتهم للحصول على دولتهم في الوقت الذي نالت فيه شعوب أخرى استقلالها. ويبقى الأكراد اليوم أكبر مجموعة عرقية لا دولة لها

لقد عانوا الكثير على يد الآخرين، ولكن بينما تتقدم كردستان العراق، فإن عدم الثقة بقادتهم يجعل أي تحالف أمريكي-كردي طويل المدى أمراً غير حكيماً. فبدلاً من أن تكون منارة للديمقراطية، يبدو بأن القيادة الكردية العراقية الحالية مصممة على تكرار نماذج أكثر استبدادية. وبدلاً من أن يسعى الرئيس الكردي العراقي مسعود بارزاني لأن يصبح نيلسون مانديلا إقليمياً، يبدو أنه ينتهج حالياً مساراً ليصبح ياسر عرفات جديد. على الرغم من البيان المتغطرس حول مناسبته ليكون حليفاً، فإن تصرفاته تفيد بأنه بعيد أن يكون أهلاً للثقة.

لقد كانت كردستان العراق ــ ربما ــ المستفيد الأكبر من (تحرير العراق)، إذ يتمتع أكراد العراق اليوم بأعلى مستويات المعيشة، وأعلى مستويات من الاستثمار الأجنبي والأمن. لقد انتهت العزلة الدولية حيث تحمل شركات الطيران الأوروبية المسافرين وحتى السياح من ميونيخ وفيينا مباشرة إلى السليمانية وأربيل.

وتستمتع القوات متعددة الجنسيات بالراحة والاسترخاء في فنادق دهوك ومنتجعات دوكان. وتتدافع إدارات النفط من الولايات المتحدة وأوروبا لجذب الاهتمام الكردي. استبقى الحزب الديمقراطي الكردستاني والاتحاد الوطني الكردستاني بيتر غالبريت، السفير من عهد كلينتون، للقيام بالضغط من جانبهم، وحتى اقتراح إقامة قاعدة عسكرية أميركية في المنطقة.

منذ خمس سنوات مضت، كان الوضع مختلفاً تماماً في حين كان أكراد العراق يتمتعوا فعلياً بحكم ذاتي منذ عام ١٩٩١، فقد هيمن الشك على حياتهم اليومية. كانت ثقة أكراد العراق ضعيفة جداً بأن الولايات المتحدة والأمم المتحدة سيقوموا بأكثر من إدانة بغداد أو زيادة العقوبات في حال تحرك الجيش العراقي نحو الشمال.

في عام ١٩٧٥ ضحى وزير الخارجية هنري كيسنجر بأكراد العراق مقابل اتفاق تبني سياسة واقعية مع بغداد، التي كان يسيطر عليها نائب الرئيس في حينه صدام حسين والتزم المجتمع الدولي بشكل عام الصمت عندما استخدمت الحكومة العراقية الأسلحة الكيماوية ضد المواطنين الأكراد عام ١٩٨٨.

وقامت القوات الأميركية بالقليل عندما أمر صدام قوات الحرس الجمهوري

باحتلال إربيل عاصمة اقليم كردستان عام ١٩٩٦. بينما قامت إدارة كلينتون بإدانة التحرك، تجاهلت الدول الغربية ومنظمات حقوق الإنسان الدولية بشكل كبير المنطقة الوحيدة الحرة نسبياً في العراق التي عانت ليس فقط من عقوبات الأمم المتحدة وإنما أيضاً في ظل الحظر المنفصل الذي فرضه حكم صدام في بغداد، والذي أعطاه الأمين العام للأمم المتحدة في حينها بطرس غالي السلطة لتوزيع الغذاء والدواء على كردستان العراق بموجب برنامج الأمم المتحدة « النفط مقابل الغذاء » . في أواخر عام ٢٠٠١، أكدت إدارة الدولة بأن سفر المواطنين الأميركيين إلى كردستان العراق غير قانوني بموجب جوازات سفر أمريكية وذلك بناءً على العقوبات الأميركية وعقوبات الأمم المتحدة المفروضة.

في أول مارس/ آذارعام ٢٠٠٣ أعطى قرار تركيا عدم المشاركة في عملية (تحرير العراق) حكومة إقليم كردستان دفعاً إستراتيجياً غير متوقعاً. في حين أن القوات الخاصة الأميركية قد تشاركت مع ميليشيات البشمركة / قوات حرس إقليم كردستان /والقيادة السياسية الكردية في الأشهر السابقة لاندلاع العداوات، وقد ارتأى مخططو الجيش الأمريكي شراكة أكثر قوة مع تركيا.

في فبراير /شباط عام ٢٠٠٣، كرر الدبلوماسيون الأميركيون والأتراك وضباط الجيش مذكرة دبلوماسية شاملة لاستعراض فهم التعاون الأميركي-التركي في العراق.

كان المسئوولون الأكراد العراقيون مقتنعين تماماً بأن العلاقة التركية مع واشنطن يجب أن تحتل الأولوية على اهتماماتهم الخاصة التي اختطوها ليس لمنع التدخل التركي ولكن للحصول على موافقة، في البداية، أن يحدد البنتاغون الوجود التركي في العراق إلى ممرات تزويد محددة في شمالي العراق، وثانياً أي فريق تركي حقيقي يمكنه العمل فقط في مناطق جنوب أو شرق تكريت، ومناطق العمل التي تعتقد إربيل بأنها تحد من التأثير التركي في منطقة كركوك المتنازع عليها.

أدى رفض البرلمان التركي المشاركة مع الولايات المتحدة للتحالف إلى قطع النفوذ الإستراتيجي التركي ودعم الأهمية الإستراتيجية للقوات الكردية العراقية لأهداف الولايات المتحدة. بدلاً من العبور من تركيا قامت القوات الأمريكية بالهبوط بالمظلات في مهابط حرير، في شمالي اربيل. قد تكون البشمركة قامت بالسلب أكثر من القتال في الأسابيع الأولى من الحرب، ولكن، رمزياً، عززت العلاقة المتنامية مع القيادة المركزية الأمريكية الشكوكية، المعتادة أكثر على رأي

العالم بالقادة العرب وأقاربهم في الهيئات العامة أكثر من الاهتمامات الكردية.

وقد دعمت الرومانسية أيضاً العلاقة الأمريكية-الكردية. كان من الصعب على العديد من أفراد الجيش الأمريكي إلا يتعاطفوا مع أكراد العراق: كان العديد قد اختبر أكراد العراق عام ١٩٩١ عندما ساعدوهم في صد الهجرة والمجاعة الكبيرة من خلال عملية توفير الراحة. وبالعودة بعد اثني عشر عاماً، وجدوا بأن المنطقة قد تحولت، على الرغم من العقبات العديدة، بفضل القيادة الكردية.

كما سهلت الثقافة الكردية المحلية العلاقة مع الولايات المتحدة. يصر كلٌ من دبلوماسيي وضباط الجيش التركي على المضي قدماً في المراسم والالتزام المتزمت بقواعد المقاطعة بدلاً عن تسهيلهم للعلاقات. يشعر القليل من الدبلوماسيين الأميركيين بالمودة تجاه محاوريهم الأتراك.

وعلى النقيض من ذلك، فإن الأكراد العراقيين يمطرون المسئوولين الأمريكيين بالضيافة، وتحضير مآدب سخية، وفي بعض الأحيان تسهيل العلاقات مع النساء.

يضع الحزب الديمقراطي الكردستاني المسئوولين الأميركيين في أماكن ضيافتهم ويقدموا الهدايا لمسئولي إدارة الدولة والجيش تتراوح ما بين السجاد الحرير والمجوهرات الذهبية. و في حين يرفض معظم المسئولين الأمريكيين مثل هذه الهدايا، خلال فترة سلطة الائتلاف المؤقتة، فإن بعض المواطنين المسئولين المدنيين الأميركيين وضباط الجيش يقبلون بها.

ومن أساليب تعزيز التأثير الكردي في واشنطن كان استئجار حكومة إقليم كردستان لخدمات ضباط ومسئولين سياسيين أميركيين سابقين لتمثيلهم. فمثلاً قامت القيادة الكردية بتوظيف شركة ضغط يديرها روبرت د. بلاكويل، نائب مستشار سابق في الأمن القومي، لتمثيل مصالح الأكراد في واشنطن ولتحضير لقاءات مع مسئولي الإدارة.

هاري سكوت، القائد العسكري السابق في الكتيبة ٤٠٤ للشؤون المدنية المرتكزة في اربيل، استقال من مهمته العسكرية ليصبح مستشاراً مأجوراً لرئيس الوزراء الكردي نيجيرفان بارزاني. كلاً من الجنرال غارنر (المتقاعد) والكولونيل ديك ناب (متقاعد)، اللذين قادا الإدارات المدنية في فترة ما بعد الحرب في بغداد واربيل، على التوالي، عادوا إلى كردستان العراق من أجل عقود. بينما قام قوباد طالباني، نجل جلال طالباني، الرئيس العراقي و زعيم الإتحاد الوطني الكردستاني، بالطلب من الأكراد ومن أصدقاء الأكراد العراقيين أن يتبرعوا لصالح الحملات الانتخابية الأميركية لأعضاء الكونجرس الذين يتعاطفون مع الاستقلال الكردي.

أدت مشاركة الأكراد إلى جانب القوات الأميركية في (تحرير العراق)، خاصة مقارنة مع الأفعال التركية، بالقيادة الكردية إلى التعبير عن إحساس بالجدارة. واستجابة لسؤال في مقابلة عام ٢٠٠٣ حول المكافأة المتوقعة لأكراد العراق لقاء دعمهم للأهداف الأمريكية، قال مسعود بارزاني رئيس إقليم كردستان: إن مطلبنا الأساسي من الولايات المتحدة وبريطانيا...هو دعم نضالنا لإحراز حقوقنا الوطنية. في مقالة عام ٢٠٠٥ بخصوص الموضوع نفسه، أشار بارزاني، بعد القوات المسلحة الأمريكية، كانت قواتنا من البشمركة أكبر عضو في التحالف.

و يبدو بأن تعاليم بوش بإقامة تحالف مع كردستان العراق طبيعياً كما تؤكد الدراسة .. فقد كانت الدبلوماسية وموضوع التحول إلى الديمقراطية في صدارة جدول الأولويات، على الأقل بيانياً ونظرياً، في سياسة البيت الأبيض. وقد يبدو هنا كردستان العراق على أنه نموذجاً. قبل سقوط صدام بسنتين، وصف كارول أوليار، طالب مقيم في مركز الجامعة الأميركية للسلام الكوني، كردستان العراق بأنها بوتقة للديمقراطية ونموذجاً لعراق ما بعد صدام. أطلق سفير كير أوريدسون وأولي شميدت، مؤرخ في جامعة لوند وسياسي سويدي على التوالي، على منطقة كردستان العراق منارة للديمقراطية في الشرق الأوسط.

في عام ٢٠٠٦ قامت حكومة إقليم كردستان التي تدير التعاون التنموي الكردستاني بوضع إعلانات تلفزيونية في الولايات المتحدة تصف كردستان العراق بأنه «يمارس الديمقراطية منذ أكثر من عقد من الزمان». مع العلم بأن الحزب الديمقراطي الكردستاني والاتحاد الوطني الكردستاني لم يسمحا بأي تحديات انتخابية جدية، إلا أن المغالاة المتعلقة فهي في حين كانت باقي أنحاء الدولة التي ترزح تحت حكم صدام كانت الأقاليم الثلاثة المحكومة من قبل مسعود بارزاني وجلال طالباني قائد التحالف الوطني الكردستاني أكثر حرية.

ولكن لم يكن لا بارزاني ولا طالباني ديمقراطيان. خلال الحرب الأهلية الكردية الداخلية ١٩٩٤-١٩٩٧، قام القائدان الكرديان بانتهاك حقوق الإنسان بشكل كبير: فقد اختفى المناوئون وأمر بارزاني وطالباني بإعدام السجناء. ويقدر اليوم نشطاء أكراد العراق في المناطق التي يحكمها القياديان السياسيان بأنه لا يزال هناك ثلاثة آلاف سجين كردي مصيرهم غير معروف، ولكن منظمات حقوق الإنسان الإقليمية تقول بأن القادة السياسيين يمنعان أي مطالبة من عائلات المفقودين. وخلال محاكمة صدام عام ٢٠٠٦، أشار العديد من المثقفين الأكراد في الجامعات الإقليمية والمقاهي بسخرية إلى أن القيادة الكردية العراقية قد ارتكبت بعضاً من الجرائم، وإن

كان دون استخدام الأسلحة الكيماوية، التي كان يحاكم على أساسها صدام.

لقد تغير العراق ولكن كردستان العراق لم تتغير بعد سقوط صدام، توقع العديد من أكراد العراق بأن منطقتهم سوف تتحرر وتصبح ديمقراطية. فبدلاً من الإصلاح تعاظمت السياسات الإقليمية. حافظ بارزاني على حكم ديكتاتوري على محافظتي دهوك وإربيل، وطالباني بالمثل يسيطر على السليمانية في حين أنه ليس دقيقاً أن توصف القيادة الكردية، على الأقل من جانب الإتحاد الوطني الكردستاني، على أنها عشائرية، فقد كان الطرفان يعتمدان على أفراد العائلة في الحكم. فقد عين بارزاني ابن أخيه رئيساً للوزراء وكلف ابنه مسرور ذى الخمس وثلاثون عاماً بإدارة وكالة المخابرات المحلية. بينما يحكم أقارب آخرون شركات الهاتف الإقليمية، والصحف والإعلام.

وبالمثل تدير هيروخان، زوجة طالباني محطة التلفزيون الفضائية المحلية. وفي حين أن أحد أبناء جلال طالباني يدير عمليات مخابرات التحالف الوطني الكردستاني، فإن الآخر (قوباد طالباني)ممثل لحكومة إقليم كردستان في واشنطن. وعندما حان الوقت لتوزيع الحقائب الوزارية في بغداد، استدار كلا القائدين الكرديين إلى عائلاتهم: أعطى بارزاني خاله هوشيار زيبارى وزارة الخارجية، بينما طالباني أعطى صهره عبد اللطيف جمال رشيد حقيبة الموارد المائية وأخ زوجته إلى السفارة في الصين. ولكن النقطة التي هي في صالح طالباني هي أن رجاله مؤهلون.

يسيطر كل من بارزاني وطالباني « وفقا للدراسة» على الشركات القابضة، فبعضها مرتبط بأقاربهم والبعض الآخر بأحزابهم السياسية. حوّل طالباني الأراضي الحكومية، بصفته قائد الإتحاد الوطني الكردستاني، إلى أقاربه لكي يكسبوا الفوائد. في إحدى الحالات، استخدم نوكان، وكيل أعمال الحزب، كوسيط لطرد اللاجئين من الأرض التي يرغب حزبه في تطويرها لرعاية أعضائها. وبما أن كلاً من الحزب الديمقراطي الكردستاني والاتحاد الوطني الكردستاني يسيطران على التعيينات القضائية، يفتقد اللاجئون والمواطنون العاديون الذين ليس لديهم علاقات رفيعة المستوى للاحتكام إلى القضاء خلال الزيارات الدورية للسجون اكتشف مراقبو حقوق الإنسان المستقلين رجال أعمال مسجونين دون أي تهمة ويقولون بأنهم مسجونين بموجب قرار من أحد أبناء بارزاني بعد أن رفض شراكات خفية مع رجال أعمال من عائلة بارزاني.

وتشير الدراسة إلى أن بارزاني وطالباني قد كدسوا ثروات تفوق ٢ مليار و٤٠٠ مليون دولار، على التوالي. حيث إن القيادة السياسية الكردية تجادلت ذات مرة على

عائدات الجمارك، قامت اليوم بدمج الخزينة الوطنية مع أموال الرشوة للحزب والمحافظ الشخصية. عملياً هنالك فرق بسيط بين ملكيات بارزاني وطالباني كأفراد وممتلكات أحزابهم السياسية وحكومة إقليم كردستان بمجملها. قام بارزاني بتحويل منتجع عام في «ساري راش» إلى مجمع شخصي، وقام أفراد عائلته ووزرائه ببناء منازل فخمة على الأراضي العامة المجاورة.

تسيطر على مفاوضات النفط الحديثة الضبابية المستمرة على الأصعدة السياسية والتجارية الكردية. للحصول على امتيازات التنقيب عن النفط وعقود التنمية في اربيل ودهوك يجب أن تقيم الشركات شراكة خفية مع رابطة معينة من قبل بارزاني. يقول العديد من المسئوولين المقربين من مفاوضات النفط المختلفة بأن روابط بارزاني قد طلبت نسب وصلت حتى ١٠٪ من العائدات المستقبلية على أن تحول إلى بارزاني شخصياً وقيمة مساوية لحزب بارزاني السياسي. أن الخزينة العامة لحكومة إقليم كردستان أمر ثانوي، حتى وإن كان النفط، ولو نظرياً، مصدر لكامل منطقة كردستان، أن لم نقل للعراق. أن مثل هذه المضاربات في المصالح ليست جديدة.

تناقش الوثائق التي ضبطت بعد سقوط صدام معاملات تجارية بين نيجرفان بارزاني وأبناء صدام. ينتشر الفساد بسرعة كبيرة في هذا الوسط. بناءً على معلومات منظمات غير حكومية في حلبجة، عام ٢٠٠٦، دمر حريق مشكوك بأمره أرشيف اتحاد المعلمين من الاتحاد الوطني الكردستاني بعد أن صدر أمر بإرسال لجنة تدقيق حسابات بخصوص اختلاسات من أموال الاتحاد. إلا أن العديد من أكراد العراق يقولون بأنهم يأملون بأن يحفز الوجود الأميركي الإصلاح والشفافية والمحاسبة.

وتشير الدراسة إلى أنه يجري التحكم السياسي في العمق. في حال وجود ضحية تتعلم من جلادها، فإن كلا الحزبين يكرر آليات حكم حزب البعث. ينتدب كل من الحزب الديمقراطي الكردستاني والإتحاد الوطني الكردستاني ممثلين ليس فقط إلى صفوف الكلية وإنما إلى المدارس العليا. في بعض الحالات، هؤلاء الطلاب الممثلين الذين يقومون بعمل المفوضين السياسيين لا تتجاوز أعمارهم الأربعة عشر أو خمسة عشر عاماً: يقومون بتجميع تقارير عن المناقشات داخل الصف إلى جانب المناقشات الخاصة، التي تقوم مخابرات الحزب الديمقراطي الكردستاني والإتحاد الوطني الكردستاني بتفحصهم.

تجري أجهزة الاستخبارات في العمق، ويكون التعذيب شائعاً. يبدو بأن كلا

الحزبين الكرديين يحذون حذو حزب البعث. بينما لا يلتزم أي منهما بأيديولوجيات تأسيسهم (مثلاً عدد قليل من أعضاء المكتب السياسي، يلتزمون بجدية بمعتقدات الاشتراكية الدولية، على الرغم من أن الإتحاد الوطني الكردستاني عضو في هذه المنظمة)، يمضي الأعضاء الطموحين بالإخبار عن زملائهم.

يتعامل الأكراد مع الأجانب بشكل جيد، ولكن ينظرون إليهم بعين الشك: يقوم سائقو سيارات الأجرة المتوقفين خارج فنادق السليمانية برفع تقارير إلى مخابرات الإتحاد الوطني الكردستاني. عادة ما يقوم الاتحاد باستضافة الأجانب في مقرات ضيافة منتجع صلاح الدين. وفيما هم مرتاحين، يجبرهم التحالف على الاعتماد على سائقي الحزب (لا يمكن لسائقي سيارات الأجرة الاقتراب من هذه المنشأة.(ويوجه عادة الحزب الديمقراطي الكردستاني سائقي سيارات الأجرة بعدم نقل الغربيين الذين لم يحصلوا على إذن من رئيس مخابرات الحزب الديمقراطي الكردستاني للتحرك بين المدن.

أما طاقم العمل في الفنادق الرئيسية في إربيل ودهوك والسليمانية فيفترض أن يكونوا من أعضاء الحزب؛ هناك الكثير منهم مرتبطين مع أجهزة المخابرات ويعدوا ملفات عن الزوار والأشخاص الذين يقابلونهم. قامت جامعة دهوك بتركيب سوفت وير للتعقب على أجهزة الكمبيوتر التي يستخدمها الأجانب؛ ومن المرجح بأن الكليات والجامعات الإقليمية الأخرى تقوم بعمل الأمر نفسه.

وتشير الدراسة إلى أن عواقب عدم الانقياد بخط الحزب له جذور عميقة: الطلاب الذين ينتقدون الحزب أو قيادته يوضعون على القائمة السوداء من حيث التوظيف وفرص التعليم. في جامعة صلاح الدين، مثلاً، الطلاب الحاصلون على درجات عليا ولكن غير مرتبطين بالحزب الديمقراطي الكردستاني يجب أن ينظروا إلى أنفسهم على أنهم غير كفوئين.

يتمتع بارزاني وطالباني بآليات أخرى للحكم. (البشمركة تحديداً)، أولئك الذين يواجهون الموت، يكون عملهم كجيش لكردستان العراق أقل من عملهم كمليشيا لفرض رغبات قادة الأحزاب السياسية. على الرغم من الاتحاد الاسمي بين إدارتي القادة الكرديين، فإن أجهزة استخبارات الأحزاب والمليشيا تبقى مستقلة. المسافرون الواصلون إلى كويسنجق، أول مدينة رئيسية في منطقة الاتحاد الوطني الكردستاني يتم التحقيق معهم من قبل بشمركة التحالف الوطني الكردستاني وفي بعض الأحيان من قبل أجهزة مخابراتهم أيضاً.

غالباً يكون أعضاء البشمركة فوق القانون. في إحدى الواقعات الحديثة، قام عضو في البشمركة بإطلاق النار على ضابط شركة أثناء الوقوف على إشارة مرور عادية. وقام زملاء المشتبه بنقله من سجن الشرطة لكي يمنعوا على المدعي العام محاولات توجيه الاتهامات له.

ليس هناك تحقيقات ولا توازنات، أن حرية الصحافة في كردستان العراق في تراجع، حتى أثناء توسعهم في المناطق غير الكردية.، تستخدم زوجة طالباني نفوذها على كل من المحطة الفضائية المحلية والمجلة المحلية لضبط النقد.

وعلى الرغم من وجود صحيفتين مستقلتين في كردستان العراق، «أوين» و«هاولاتي»، فإن القيود تتزايد عليهما. يستخدم كلا الحزبين تحكمهم بمحاكم القانون بالتهديد، والإفلاس وحتى حبس الصحفيين الذين ينتقدون الأحزاب الحاكمة والمسئولين. مثلاً لاحق الإتحاد الوطني الكردستاني محررين من «هاولاتي» بعد أن اتهمت الصحيفة رئيس الوزراء فى حكومة كردستان بإساءة إستخدام السلطة. وقد هدد مكتب نيجرفان بارزاني بمحاكمات تافهة للكتاب والمحللين الأجانب الذين لا يلتزموا بخط الحزب.

أما أولئك الذين يرفضون الانضمام أو على الأقل أن يلتزموا الصمت يواجهون أجهزة الاستخبارات. في أكتوبر/تشرين الأول ٢٠٠٦ قامت المخابرات السرية للحزب الديمقراطي الكردستاني باختطاف الصحفي النمساوي-الكردي كمال سعيد قادر بعد كتابته مقالات تتناول الفساد ضمن جماعة بارزاني الحاكمة وقام بنشر وثائق تشير إلى الروابط بين الملا مصطفى بارزاني ومسعود بارزاني الأب، وأجهزة الاستخبارات الروسية. بعد محاكمة لمدة ١٥ دقيقة، حكم قاضي الحزب الديمقراطي الكردستاني على كمال بالسجن لمدة ثلاثين عاماً، ولم يستبدل هذا الحكم حتى قامت حملة من المنظمات غير الحكومية الدولية وبعد إدانة الحكم من قبل إدارة الدولة[1].

تظهر الإدارات الكردية بأنها مصممة على استعادة التحكم السياسي المحكم على الصحافة. ويبقى القانون الكردي معتمداً على القانون العراقي. المادة ٤٣٣ من قانون الجنايات العراقي، الذي سنه حزب البعث، يساوي بين كافة الانتقادات على أنها جرائم قذف. اتحادات الصحفيين المحلية التي رغبت بتغيير هذا النتاج

(١) في جزء سابق من الكتاب قصة اختطاف وقتل الصحفي الشاب سردشتا عثمان من باقة جامعة صلاح الدين أمام زملائه وإلقاء جثته في إحدى مناطق الموصل بمحافظة نينوى

قوبلوا بغضب بارزاني. في ٢٠ كانون الأول ٢٠٠٧، أبلغ بارزاني البرلمان أن يعيد النظر بالتشريع الذي قد يقلب قانون الصحافة من العهد البعثي ويجيز انتقاد حكومته.

كما لم تكن المنظمات غير الحكومية جهات مستقلة. تعمل معظم المنظمات الكردية تحت رعاية القيادة السياسية الكردية. مثلاً تعتمد منظمة رعاية الأطفال الكردية على رعاية زوجة طالباني وتعمل بشكل كبير بموجب أهداف الحزب. أما عمال المساعدات الخارجية فيقولون بأن كلاً من الحزب الديمقراطي الكردستاني والتحالف الوطني الكردستاني قد أصرا على تشغيل أعضاء الحزب في حال أرادا العمل بالتنسيق مع الحكومة المحلية. عندما رفض موظفون أكراد مستقلون يعملون مع الوكالة الأميركية للتنمية الدولية إطاعة تعليمات التحالف الوطني الكردستاني، قام مسئولو أمن الحزب بصياغة ملفات عنهم وقدموا مزاعم عن اعتبارات أمنية إلى إداريي الوكالة، الذين قاموا فوراً بطرد المستقلين وتعيين الموالين للاتحاد الوطني الكردستاني.

مع بعض الاستثناءات القليلة جداً قامت منظمات حقوق الإنسان المحلية ووزارة حقوق الإنسان الحكومية بالتركيز على الأعمال الوحشية ضد الأكراد في ظل نظام صدام، بدلاً من الإساءات التي توجهها القيادة السياسية الحالية.

بينما كانت الهوة بين القيادة الكردية والناس الذين يدعون بأنهم يمثلونهم تزداد عمقاً، كان التنافر أيضاً يزداد. يشعر العديد من الأكراد بالعجز. ليس هنالك محاسبة، حتى عندما تقوم الحكومة بإصدار قرارات متعجرفة مثل توفير ٢٤ ساعة من الكهرباء لإضاءة قبر إبراهيم أحمد، والد زوجة طالباني، بينما يقطع التيار الكهربائي عن اللاجئين الأكراد.

وأوضحت الدراسة أن قرار التحالف الوطني الكردستاني والحزب الديمقراطي الكردستاني للدخول في نفس قائمة الانتخابات علناً واقتسام المناصب سرياً قد أثرت سلبياً على منع حق الاقتراع عن الشعب المحلي. عندما بدأ الاتحاد الإسلامي الكردستاني، الجناح غير العنيف من الإخوان المسلمين، باعتداءاته، قامت حشود يرعاهم الحزب الديمقراطي الكردستاني بإحراق مكاتب الحزب في عدد من المدن وقتلت رئيس الحزب في دهوك.

حتى بعد تنظيمهم لتجنب المنافسة، لمس دبلوماسيو الولايات المتحدة وهيئة الانتخابات المستقلة بأن الحزب الديمقراطي الكردستاني يقوم بتزوير فاضح في الانتخابات في كافة أنحاء البلاد، باستخدام البشمركة لمنع وصول الناخبين

وقيام مراقبي الحزب بتعبئة صناديق الاقتراع. كان التزوير لا مبرر له، حيث أنه بدون هذا التزوير فإن آلة الحزب والمصادر كانت الضامن للفوز، حتى وإن لم تكن على نفس الدرجة مما قام به الديكتاتوريين

وخلصت الدراسة إلى أنه قد لا يكون كردستان العراق منارة للديمقراطية التي يدعيها ممثلوه، ولكن الواقعيين في مؤسسة السياسة الخارجية الأمريكية قد يجادلون بأن ممارساتهم تجاه الشعب غير هامة بالنسبة للمصالح الأميركية، خاصة إذا ما استمرت المنطقة الكردية بكونها مؤيدة للمصالح الأميركية.

إن مثل هذه الحسابات متسمة بقلة التمييز. وبما أن حكومة الولايات المتحدة قد دعمت كلا القائدين الكرديين، فإن الأكراد بشكل عام يربطون سوء سلوك قادتهم بسياسة الولايات المتحدة. تتزايد عبارات الاستياء عندما يعزو الأكراد إساءات قادتهم للمصالح الأمريكية: عام ٢٠٠٦، مثلاً، عندما طلبت الحكومة الأميركية بمكان من أجل مكاتبها في السليمانية، قام طالباني بطرد كلية تقنية بدون سابق إنذار، أن لم نذكر الإجراء المناسب، مما أدى إلى غضب شريحة كبيرة من الشعب.

وتشير الدراسة إلى انه:

خلال الأسبوع الأول من يوليو /تموز ٢٠٠٣، كانت وحدة عسكرية أميركية تقوم بدورية في الجبال في الشمال الشرقي للعراق حوالي ثلاثين ميلاً من الحدود الإيرانية وصادفوا نقطة تفتيش غير رسمية للحزب الديمقراطي الكردستاني، حيث قاموا بمصادرة حفنة من جوازات السفر الإيرانية والأموال. لقد استخدم مسئولو الحزب الديمقراطي الكردستاني هذه النقطة لتسهيل تمرير الإيرانيين، بالسماح للعاملين الإيرانيين باستبدال جوازات السفر الإيرانية بوثائق هوية كردية محلية، مقابل مبالغ مالية واعترف القادة الأكراد بسرية بأن هذه الحالة لم تكن وحيدة.

في بداية التمرد العراقي في أبريل /نيسان عام ٢٠٠٤، أصبحت كردستان العراق منطقة عبور لأنصار السنة: فقد دخل أفرادها كردستان العراق من إيران وتمكنوا من الوصول بسلام إلى الموصل مركز محافظة نينوى / ٤٠٠ كم شمال بغداد/ مقابل اتفاقية بعدم القيام بعمليات في المحافظات الشمالية الثلاث أربيل والسليمانية ودهوك/، وربما إلى جانب دفع مبالغ معينة.

وتؤكد الدراسة أن التعامل المزدوج للأكراد مع إيران مستمر حتى اليوم .. مشيرة إلى أنه في ١١ يناير /كانون الثاني عام ٢٠٠٧ وفي ٢٠ سبتمبر /أيلول عام ٢٠٠٧ داهمت القوات الأمريكية المنشآت في إربيل والسليمانية وألقت القبض على ستة من أفراد

الاستخبارات الإيرانية.. فيما كان المسئوولون العراقيون يحتجون في كل مرة على الاعتقالات[1].

بعد الواقعة الأولى، أصدر مكتب بارزاني بياناً يقول فيه يُفضل إعلام الحكومة الكردية قبل اتخاذ إجراءات ضد أي شخص، وفي الواقعة التالية، وصفت حكومة إقليم كردستان الاعتقال بأنه غير شرعي وقالت بأن إن مثل هذه الإجراءات لا تخدم أحداً. أن القرار بعدم تحذير السلطات الكردية لم يكن سخافة دبلوماسية وإنما كان نتيجة للخبرة، فإن صانعي القرار الأمريكيين فقدوا الثقة بالسلطات الكردية من عدم إفشائها معلومات حساسة ذات علاقة بالعمليات. فيما إذا كانت القيادة الكردية أو التابعين لها في البشمركة وأجهزة الأمن يقومون بذلك للتوصل ببراعة إلى سلطات إقليمية أو لأسباب شخصية فإن ذلك ليس هاماً.

إن رفض السلطات الكردية اللاحق، من جانب كل من حكومة إقليم كردستان وهوشيار زيباري، وزير خارجية العراق وخال بارزاني والشخص المختار للمنصب، بتزويد المسئولين الأمريكيين بقائمة دبلوماسية قد قطعت ثقة القوات متعددة الجنسيات بالقيادة الكردية. أن مثل هذه القائمة التي لا مبرر لوجود السرية حولها سوف تمكن السلطات الأمريكية من تحديد الوضع الدبلوماسي قبل العمليات.. كما يظهر الرفض الكردي عدم الاستعداد لمساعدة الجهود الأمريكية لمواجهة تسلل عناصر الحرس الثوري الإيراني.

وترى الدراسة أن عداوة بارزاني مع تركيا تقطع أيضاً أي إمكانية للتحالف مع الولايات المتحدة. ينظر العديد من المسئولين الأكراد إلى العلاقات الأميركية-التركية على أنها لعبة يخرج فيها الطرف الثاني صفر اليدين: فإما أن تقوم واشنطن بتنفيذ صداقة مع إربيل أو أن تتحالف مع أنقرة. لا يفهم معظم المسئولين الأكراد بأنه لا يفترض بالعلاقات أن تكون مقتصرة. غالباً ما تقول السلطات الكردية للمسئولين الأمريكيين الزائرين بأن كردستان العراق ستكون حليفاً أفضل بكثير من تركيا. فهم لا يفهمون لا اتساع العلاقات الأميركية التركية ولا مدى الاستخفاف الذي تلاقى به المطالب الكردية حيث أن واشنطن تقوم بفلترة حلفائها عبر مصالحها في أي دولة أخرى. لا يتمتع بارزاني بهذا النوع من التمرس ويبدو

(١) أثناء رحلتي إلى معسكر مجاهدي خلع وهي المعارضة الإيرانية الرئيسية واكتشفت أن كل ضيوف المعسكر سواء عرب أو أجانب يأتون من خلال مطارات وإقليم كردستان وبتسهيلات في الدخول إلى العراق والانتقال إلى معسكر أشرف.

عازماً على إجبار البيت الأبيض على الاختيار بين أنقرة وإربيل. في حال قيامه بذلك، فإن القيادة الكردية سوف تصاب بخيبة أمل.

وترى الدراسة انه ليس هناك سبباً جازماً بأن بارزاني يجب إلا يدافع عن المصالح الكردية، ولكن غالباً ما تتحول بياناته إلى تهديدات. في ديسمبر /كانون الأول ٢٠٠٥ مثلاً أوضح بأنه أن لم تنضم مدينة كركوك الغنية بالنفط إلى إدارته بحلول ديسمبر كانون الأول ٢٠٠٧، فسوف يشعل فتيل الحرب الأهلية في كل أرجاء العراق. ثم في أبريل/ نيسان ٢٠٠٧ هدد بمساندة التمرد في تركيا في حال لم تذعن أنقرة لمطالبه في كركوك. يتورط الإعلام الذي يسيطر عليه حزبه بنفس النوع من التحريض ضد تركيا كالذي يقوم به الإعلام الفلسطيني ضد إسرائيل. تظهر الخرائط التي تباع في ظل برلمان حكومة إقليم كردستان بأن منطقة كردستان الكبرى تمتد إلى داخل تركيا. تشير الصحف الكردية إلى كردستان العراق على أنها جنوب كردستان، ويكمن المعنى الضمني بأن تركيا الجنوب شرقية هي شمال كردستان.

من هذا المنطلق أصبحت علاقات بارزاني مع حزب العمال الكردستاني معضلة. قد لا يكون بارزاني قومياً، ولكنه واقعي أيضاً. إنه يكره حزب العمال الكردستاني القوي، ليس لأن إرهابه يلوث قضية القومية الكردية ولكن لأنه يقدم بديلاً. عبد الله أوجلان، قائد الحزب، سعى إلى الصدارة على منافسيه الأكراد العراقيين. بارزاني وطالباني مثل الأقدام والأذرع، أما أنا فالرأس الأساسي أو العقل ، كما فسر أوجلان الأمر في مقابلة معه عام ١٩٩٨. أمر بارزاني وطالباني جماعاتهم من البشمركة في التسعينات بمقاتلة حزب العمال الكردستاني في أي مكان يحاولون فيه إنشاء موطئ قدم لهم في مناطقهم.

في ذلك الوقت، طلب بارزاني من الحكومة التركية أن تساند جماعته من البشمركة وأن يحاربوا معه ضد المجموعة الإرهابية بناءً على ما يقوله عدد من الدبلوماسيين وضباط المخابرات الأتراك. وأدرك بارزاني بأن أي ملاذ آمن لحزب العمال الكردستاني سيكون لعنة لمصالحه وتحرك لمنع ذلك. ولكن بوجود أوجلان في السجن لم يعد يشكل حزب العمال الكردستاني تهديداً لتفوقه السياسي، تبنى بارزاني المجموعة لاستخدامها كأداة ضد تركيا.

بعد قرار البرلمان التركي في أول مارس/آذار، ٢٠٠٣ بعدم المشاركة في التحالف الذي تقوده الولايات المتحدة ضد صدام، غدا بارزاني على ثقة كبيرة بتقديراته بخصوص الصداقة مع واشنطن واتخذ خطاً حامياً ضد أنقرة. فاستقبل قادة حزب

العمال الكردستاني في منطقته، وخاصة في منطقة المثلث الحدودي إيران، العراق وتركيا. في حين أن المتحدثين باسم بارزاني وحكومة إقليم كردستان قد كرروا وعودهم بحملة لفرض النظام كان بارزاني في الواقع يكرر إستراتيجية رئيس السلطة الفلسطينية الراحل ياسر عرفات: كان ينكر التورط بالإرهاب ولكن مع ذلك يسعى إلى رفعه إلى مكاسب دبلوماسية.

إنه يقول للدبلوماسيين الأميركيين بأن تهديد حزب العمال الكردستاني سوف يختفي في حال عرضت أنقرة المزيد من التنازلات فيما يخص العفو العام والإذاعة والإصلاحات الدستورية، بينما في الوقت نفسه يشجع قادة حزب العمال الكردستاني على الاستمرار في الهجمات، وفي الواقع، يسهل لهم هذه العمليات الإرهابية.

تقول السلطات التركية بأن لديهم صور لقادة رفيعي المستوى من حزب العمال الكردستاني يتلقون الرعاية الطبية في مشافي إربيل ويلتقون مع حلفاء بارزاني في المطاعم المجاورة. عن طريق بيع المؤن والغذاء، حصل بارزاني على ربح جيد، وعندما انخرط أفراد عائلته بالتجارة أصبحوا مدمنين عليها. يشك المسئولون الأتراك بأن ابن بارزاني يبيع السلاح لحزب العمال الكردستاني. أن هذه المعلومة أجبرت أنقرة على اتخاذ ذلك النهج القاسي ضد كردستان وأقنعت المسئولين الأميركيين بدعم أنقرة، حتى عندما كانت الطائرات الحربية التركية تقصف الأهداف الكردية.

وتقول الدراسة أن كردستان العراق يعيش في الماضي، حيث يمضي بسمعة زائفة، وينعزل عن الواقع بفضل مديح مجموعات الضغط والمستشارين. لدى كل من بارزاني وطالباني سبباً لكي يشعروا بالفخر: في أواخر التسعينات وقبل الإطاحة بصدام، كان كردستان العراق قصة نجاح، ديمقراطي نسبياً ومزدهراً حتى في ظل العقوبات. قد يعذر الأكراد أخطاء قادتهم بسبب الأزمة الأكبر، ولكنهم يتحلون بالأمل في المستقبل.

كل جيل ينمو بمزيد من العزلة والفساد. بعد تحرره من ظل صدام انزلق كردستان العراق إلى الخلف. ومع رفع العقوبات انتشر الفساد بشكل كبير.. بينما يخبر بارزاني المستثمرين عن خططه بتحويل المنطقة إلى دبي جديدة، لا يفهم بأن إدارته للفساد سوف تعيق مثل هذا النجاح. بينما تزداد الهوة بين الغنى والفقر، وبينما طالباني وبارزاني يستخدمان آليات الحكم لإخماد المعارضة، فإن الأحزاب الإسلامية سوف تزداد شعبيتها، لقد قاموا باعتداءاتهم، أن لم يكن بسبب آرائهم الدينية فإن ذلك بسبب اعتبار الأكراد لهم البديل «النزيه» الوحيد لفساد الحزب الديمقراطي الكردستاني والإتحاد الوطني الكردستاني. يتجنب معظم الأكراد التشدد الديني

للاتحادات الإسلامية الكردية، ولكن في حين أن الحزب يزداد شعبيةً، فإن انتقاده الكبير للسياسة الأميركية ولنظريات المؤامرة حول النوايا الأميركية سوف تتخذ لها جذوراً قوية[1].

يقترح عدد من المسئولين الأكراد العراقيين وبعض المعلقين الأميركيين بأن كردستان العراق يمكنه أن يستضيف الوجود الأميركي العسكري الطويل الأمد، مما سيمكن القوات الأميركية من الانسحاب من باقي أنحاء العراق، حيث لا يلقوا نفس الترحيب. كان هذا الأمر خياراً ذات مرة، ولكن سلوك بارزاني جعله أمراً غير حكيماً. في حين أن قاعدة في كردستان العراق، على الورق، يبدو بأنها قيمة إستراتيجية للبنتاغون، في الواقع قد تكون مسئولية.

حيث أن بارزاني يمكّن، أن لم يكن يرعى، إرهاب حزب العمال الكردستاني ضد تركيا، فإن أي وجود أميركي سوف يحمي كردستان العراق من أي محاسبة. يريد بارزاني قاعدة أميركية على أراضيه لأنها ستوفر له حصانة من الانتقام التركي. في الواقع، أن إقامة أي قاعدة أميركية في كردستان العراق، طالما أن بارزاني بقي في السلطة، قد يؤدي إلى نزاع أكبر. أن بارزاني ليس شخصاً محباً للغير: أن الاختباء خلف كتائب دائمة من القوات الأميركية، سوف يمنحه في الواقع الحصانة التي يريدها.

فيما إذا رغب البنتاغون بإنشاء قاعدة في كردستان العراق، يجب أن يتوقع مشاكل من حزب العمال الكردستاني ومن ازدياد تحريض بارزاني لدول الجوار، فإن أي قاعدة في كردستان العراق في الظروف الحالية سوف تضمن توسعاً في النزاع. في حال كانت كردستان العراق حليفاً جيداً، فقوة الاستقرار، والتحفظ من الأيديولوجيات المتآكلة للقوميات الإسلاميات العربية، فإن إستراتيجية الولايات المتحدة يجب أن تركز على المصالح الطويلة الأمد.

أن كردستان العراق هامة إستراتيجياً. أن الفيدرالية هي مستقبل العراق. في حين أن الكثير من الخبراء، وفي الواقع، العديد من العراقيين يتوقون إلى عودة الرجل القوي ونمط الحكومة المركزية للعراق، فإن مثل هذا النظام لم يفلح يوماً: كانت العراق على شفا حرب أهلية مستمرة في الفترة ما بين ١٩٦١ و٢٠٠٣، حين كان

(١) بسبب حالة السخط العام خاصة من الاتحاد الوطني الكردستاني الذي يتزعمه جلال طالبان حقق عزيمة نوشيروان مصطفى زعيم حركة التغيير نتائج مبهرة في الانتخابات النيابية مارس ٢١١٠ وهزم طالبان في معقله بالسليمانية.

العراقيون يقاومون محاولات بغداد فرض إرادتها الديكتاتورية. يبدو بأن القيادة القوية جيدة، ولكن العراق يبقى دولة فيها مئة من الأولويات المتوقعة لكل خصوصية.

يجب أن تتحلى واشنطن بمبدأ عدم السماح بأي نوع من الإرهاب على الإطلاق. لقد اتخذت كردستان العراق خطوات كبيرة، ولكن بارزاني يجازف بكل شيء قد حصله أكراد العراق بتوريط نفسه مع حزب العمال الكردستاني. لقد خان كلاً من الحزب الكردستاني الديمقراطي والتحالف الوطني الكردستاني ثقة واشنطن في تعاملاتهم مع إيران. في حين أنه من الطبيعي أن يكون لكلا الحزبين علاقات مع جيرانهم، فإن بيعهم للمعلومات أو تسهيلهم للتسلل إجراءات غير مقبولة لتواصلهم مع جيرانهم[1].

إن مسئولون القيادة ليست اختيارية. فالقيادة الكردية العراقية المسئولة يجب أن تضع حداً للتحريض. قد تصنع الغوغائية سياسات جيدة وقد تبعد عن مواضيع الفساد والمحاسبة التي يرغب بارزاني بتجنبها، ولكن التحريض يعطي نتائج عكسية. تنشر اللغة الكردية بأن تحكم الأحزاب الحاكمة يؤدي أحياناً إلى تأجيج المشاعر القومية. عن طريق تخصيص خمس وعشرون دقيقة من نشرة أخبار لمدة ثلاثين دقيقة للمطالب الشعبية بالاستقلال، مثلاً، مقابلة أطفال المدارس وجعلهم يسردون المطالب القومية، يجر بارزاني نفسه ومنطقته إلى صراع مع جيرانه. قامت إدارة الدولة بتجاهل مثل هذا التحريض في السنوات الأولى من السلطة الفلسطينية وذلك لكي تحكم الكيان بالفوضى؛ ويجب إلا يتكرر الخطأ نفسه، لأسباب عملية، مع السلطة الكردية. بينما تقصف الطائرات الحربية التركية معاقل الإرهاب في كردستان العراق، فقد حان الوقت لكل من واشنطن وإربيل لإعادة النظر بسياساتهم.

لدى واشنطن العديد من الأوراق لاستخدامها. أن التعاطف مع كردستان مفهوم ولكنه يعتمد بشكل متزايد على الأسطورة. يجب إلا تكون الإرادة الطيبة للولايات المتحدة تخويلاً؛ قد يبقى بارزاني حليفاً، ولكنه حرم نفسه من الأهلية لأي شراكة حقيقية. لقد حان الوقت لاتخاذ مبدأ الحب القاسي لكردستان العراق. يجب إلا تكون هناك مساعدات ولا شرعية دبلوماسية طالما أن كردستان العراق بقيت مأوى لحزب

(١) إشارات تقارير إلى قيام الساطت الكردية بتسهيل عمليات تهريب لمشتقات نفطية خاصة السولار إلى إيران المجاورة رغم ما يعانيه العراق من عجز شديد في هذه المواد.

العمال الكردستاني، تبيع الأمن الأميركي لمن يدفع أكثر، وتترك الإصلاح الديمقراطي راكداً.

• طرائف مثيرة

نشر هذا الخبر بصحيفة الشرق الأوسط فى ٨ سبتمبر عام ٢٠٠٨ أنباء عن مقتل ٣عناصر الموساد بكركوك..ومصادر أميركية وعراقية تنفي نفى اللواء تورهان عبد الرحمن، المدير العام لقوات الشرطة في مدينة كركوك، أنباء مقتل ثلاثة من عناصر جهاز المخابرات الاسرائيلي (الموساد) في مدينة كركوك شمال العراق.

وقال تورهان لـ«الشرق الأوسط» أن «تلك الأنباء عارية عن الصحة تماما ولم تسجل دائرة الحوادث في شرطة كركوك اي حوادث قتل من هذا النوع منذ فترة طويلة». وكانت صحيفة «معاريف» الإسرائيلية نقلت عن مصادر إسرائيلية أمس نبأ مقتل ثلاثة من عناصر «الموساد» الأربعاء الماضي في مدينة كركوك أثناء عملية أمنية. وبحسب الصحيفة فان القتلى الثلاثة يتحدثون العربية باللهجة العراقية، وان قادة «الموساد» أبدوا استغرابهم من تمكن المنفذين من كشف هوية الرجال الثلاثة الذين كانوا يعملون بغطاء هويات عراقية مزورة وبصفة رجال أعمال.

ويملك القتلى الثلاثة منازل سكنية في المدينة على اساس أنهم عراقيون مغتربون من أهالي الزبير في مدينة البصرة أساساً، وأشارت الصحيفةً إلى أن المنزل الذي كان يقطنه الثلاثة كان محاطاً بمركز للشرطة العراقية وهم أنفسهم محاطون بحرس من العراقيين استأجرهم لهم «الموساد» عن طريق شركة «بلاكووتر» الأميركية.

الى ذلك، قال عبد اللطيف ريان، المتحدث باسم القوات المتعددة الجنسيات في العراق، لـ«الشرق الأوسط» أن «أي حادث قتل لم يحصل ولم يسجل في ذلك اليوم الذي ذكرته الصحيفة بل أن حوادث القتل لم تسجل منذ أسبوع في كركوك».

ونشرت وكالة الأنباء التابعة للحزب الديمقراطى الكردستانى الذى يتزعمه مسعود بارزانى رئيس إقليم كردستان « بيامنير» هذا الخبر على صدر صفحتها يوم ١١ أبريل / نيسان عام ٢٠٠٩ وهى تعليمات للتعامل مع اصابات في فصل الربيع وخاصة ضربات الشمس ويطلب فيها كاتب الخبر عند التعرض لها الإتصال الفورى بنجمة داود الحمراء على الرقم ١٠١!!!

علوم - تعليمات للتعامل مع اصابات في فصل الربيع

- للتعامل مع اصابات قد تقع في الفترة القريبة، بسبب حلول فصل الربيع

وارتفاع درجات الحرارة التي قد تؤدي إلى الجفاف، وخروج الأفاعي والثعابين والعقارب من حجورها بعد أن كانت مختبأة طوال فصلي الخريف والشتاء.

الجفاف

في حالة الجفاف والذي هو عبارة عن ارتفاع درجة حرارة الجسم في أعقاب حالة الطقس، أو مجهود جسماني كثير اللذين يؤديان إلى التصبب عرقا، وفقدان كمية كبيرة من المياه. ومن عوارض الاصابة بالجفاف: العطش، الحالة بالغثيان، ضيق التنفس، دوخة، اوجاع الرأس، والجفاف الشديد في الفم. لمنع حدوث الجفاف ينصح بشرب كميات كبيرة من المياه. ويتمثل حالة جفاف شديدة بالاغماء وفقدان الوعي، نبض سريع جدا، وارتفاع درجة حرارة الجسم وتوقف العرق. حالة كهذه تعتبر «ضربة شمس» وفي هذه الحالة يجب الاتصال بنجمة داود الحمراء على الرقم ١٠١. في حال وتظهر عوارض الجفاف، يجب التوقف عن أي فعالية جسدية وأخذ قسط من الراحة، الجلوس بمكان مظلل وبارد نسبيا وشرب كمية من المياه.

• لدغة الأفاعي

مع وصول فصل الربيع تخرج الأفاعي من جحورها، وتنتشر في غالبية أنحاء البلاد أنواع قليلة من الأفاعي، ويضاف اليها عدد من الأفاعي المتواجدة فقط في النقب. وفي هذه الفترة تكون قد استفاقت الأفاعي من سبات الشتاء وتكون لديها مخزون كبير من السم. عادة ما تختبئ الأفاعي تحت الحجارة وبين الصخور، لذلك ننصح بعدم رفع الحجارة أو تحريكها من مكانها أو النبش في الخضيرة، فقد تكون في كل واحد من هذه الأمكنة الأفاعي. في حالة الاصابة بلدغة أفعى يجب تهدئة المصاب، أن نتركه يرتاح بمكان قريب كي نقلل من امكانية تفشي السم في جسمه. ويجب أن تحاول عدم تحريك عضو الجسم المصاب. الاتصال مباشرة بطواقم الاسعاف التي ستقوم بإخلاء المصاب للمستشفى. يمنع مصّ السم، يمنع ايضا وضع حاجب للأوعية الدموية حول المنطقة المصابة. لا تحالوا تبريد منطقة اللدغة، لأن التبريد لا يساعد بل قد يؤدي إلى تفاقم الاصابة. ويجب أن يمتنع المصاب عن شرب مشروبات كحولية.

• لدغة عقرب

يعيش في البلاد ٢١ نوعا من العقارب، الخطير منها هو العقرب الأسود أو العقرب الأسود ذو الذنب الكبير. سم العقارب يعمل مباشرة ويصيب النظام العصبي. من عوارض الإصابة بلدغة عقرب: ألم شديد على الفور، تسارع النبض، قلة الهدوء،

انتفاخ، احمرار شديد، التصبب عرقا، والتقيؤ. ويجب التعامل مع إصابة جراء لدغة عقرب مثل التعامل مع لدغة الافعى، أي يجب تهدئة المصاب، أن نتركه يرتاح بمكان قريب كي نقلل من امكانية تفشي السم في جسمه. ويجب أن تحاول عدم تحريك عضو الجسم المصاب. الاتصال مباشرة بطواقم الاسعاف التي ستقوم بإخلاء المصاب للمستشفى. يمنع مصّ السم، يمنع أيضا وضع حاجب للأوعية الدموية حول المنطقة المصابة. لا تحاولوا تبريد منطقة اللدغة، لأن التبريد لا يساعد بل قد يؤدي إلى تناقم الإصابة. ويجب أن يمتنع المصاب عن شرب مشروبات كحولية.

• الإغماء

يتمثل الاغماء بالدوخة والشعور بالدوار وفقدان التوازن المرفق بفقدان الوعي المرحلي. وقد تكون الأسباب للاغماء كثيرة ومتعددة، منها الخوف، الألم، التأثر، انخفاض ضغط الدم، نزيف دموي حاد وغيرها. وفي حالات الاغماء يجب أن يتمدد المصاب ورفع رجليه إلى أعلى، حاولوا فتح أي ملابس قد تكون ضاغطة قد تصعب عملية التنفس. إرجاء الرأس إلى الوراء بهدف فتح مجرى التنفس، وإذا لم يستعد المصاب عافيته افحصوا تنفسه، وفي حال لم يكن يتنفس ابدأوا مباشرة بعملية انعاش.

• لسعة بعوض أو نحل

في غالبية الحالات لا تشكل لسعة بعوض أو نحل خطرا على حياة الإنسان، ولكن في حالة حساسية زائدة للحيوان اللاسع قد تشكل خطرا. عوارض اللسعة هي سهلة وهي تتمثل بالاحمرار، الألم الموضعي، والانتفاخ. وقد تؤدي اللسعة إلى مشكلة وحالة مرضية شاملة اذا كانت هناك حساسية. إذا لم تكن الاصابة خطيرة، فإن العلاج هو سهل جدا وهو عبارة عن غسل الجرح بالماء والصابون، وفي حال يظهر المصاب عوارض لحساسية شديدة يجب الاتصال بنجمة داود الحمراء .